روايات مصرية للجيب

مغامرات
٤٩
٤ × ٢

قضية انتحار مقاتل

سلسلة البوليسية مثيرة للشباب

نبيل فاروق

WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID

١ ــ عود إلى الأضواء ..

ساد نشاط جم ــ كالمعتاد ــ فى ذلك (الاستوديو) التليفزيونى ، المعدّ لإذاعة مجموعة من اللقاءات ، مع مقاتلى حرب أكتوبر ، بمناسبة حلول الذكرى السنوية لها ، وفى قلب (الاستوديو) ، جلست مذيعة اللقاءات تعنى بزينتها وتصفيفة شعرها ، وهندامها ، فى اهتمام بالغ ، على حين جلس إلى جوارها رجل فى أوائل الأربعينات ، بدا مبهورًا بكل ما يدور حوله ، مشدوهًا بكل ذلك القدر من النشاط ، سعيدًا بجلوسه فى ذلك الموضع ، الذى لن تلبث آلات التصوير التليفزيونى أن تنقله إلى الشاشات الملوّنة والفضية ، فى كل أنحاء البلاد ..

ومع انبهاره ، عاد بذاكرته إلى الوراء ..

إلى أوّل مرة ظهر فيها أمام الأضواء ..

كان ذلك منذ ما يقرب من عشرين عامًا .. بل هى ثمانية عشر عامًا بالتحديد ..

مع بداية حرب أكتوبر ..

كان حينذاك ضابطًا شابًا ، برتبة ملازم ثان ، من الرعيل الأوّل ، الذى عبر قناة السويس ، ورفع علم (مصر) فوق خط (بارليف) ..

كانت لحظات رائعة حينذاك ..

لحظات مفعمة بسعادة الظفر ، ونشوة الانتصار ..

ما زال يذكر ملحمة الشجاعة والفداء ، التى رآها بين جنوده ، ومع ضباط فرقته الصغيرة ..

ما زال يذكر كيف كان الجميع يقاتلون بكل حماسهم وحواسهم ..

كانوا يقتلون ويُقْتَلُون ، دون أن يتوقّف أحدهم عن مواصلة السير ، والاقتحام ..

كانت حقًا ملحمة ..

أيامها ظهر على شاشة التليفزيون ، فى لقاء سريع ، فى جبهة القتال ، وكانت كلماته حماسية ، حتى أنها قد ألهبت شعب (مصر) كله ، ونال عنها وسام الشجاعة ..

كلّا .. لقد نال الوسام فيما بعد ..

وفجأة عادت إلى ذاكرته ذكرى مؤلمة ..

ذكرى الـ .....

« هل أنت مستعد يا أستاذ (فايد) ؟.. »

أتى سؤال المذيعة الحسناء ، ليقطع خيط ذكرياته ، ويعترض سيل أفكاره ، فالتفت إليها فى حَيْرة ، وكأنما يراها لأوّل مرّة ، ثم لم يلبث أن رسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

ــ نعم .. مستعد .

أراد أن يواصل الحديث معها ؛ ليؤكّد لها أنه يعلم كيف تتم هذه الأمور ، وأن له تجربة سابقة فى هذا المجال ، إلا أنها لم تمنحه الفرصة ، بل واصلت حديثها ، قائلة :

ــ فلتعلم أن البرنامج سيذاع على الهواء مباشرة ، وهذا يعنى استحالة التراجع عن أية كلمة ، أو فعل ، أو إشارة.. خذ هذه هى قائمة .. أعدّ كل أجوبتك مسبقًا ، على أن يبدو أمام المشاهدين وكأنك تلقيها بوحى اللحظة .

تمتم فى حياء :

ــ لست أحتاج إلى مراجعتها .. إننى ....

بتر عبارته ، عندما لاحظ أنها لا تنتبه إليه ، ولا تعيره اهتمامًا ، وأنها قد عادت تراجع زينتها وهندامها للمرة العاشرة ، فابتسم فى خجل ، وعاد يترك العِنان لذاكرته وذكرياته ..

ومرة أخرى وجد نفسه فى أرض المعركة ..
رأى قوات العدو على قيد أمتار منه ..
نيران ..
دخان ..
صراخ..
أنين ..
وفجأة وجد نفسه محاطًا بعدد من جنود الأعداء ..
ووقع فى الأسر ..
لن تُمحى هذه الأيام من ذاكرته أبدًا ..
لقد تعرَّض لتعذيب رهيب ؛ ليدلى بما لديه ..
ولكنه صمد ..
لم يُدْلِ إليهم بحرف واحد ..
قاوم حتى آخر رمق ..
ولكنه لن ينسَى أبدًا وجه ذلك الإسرائيلى الشاب ، الذى راح يعذِّبه فى وحشية لا نظير لها .
لن ينساه أبدًا ..
إنه كثيرًا ما يرى ذلك الوجه فى أحلامه ، فينتفض مذعورًا ، ويهبّ من رقاده ، والعرق يتصبَّب على جبينه ، و .....

« أستاذ (فايد) .. استعد .. سنبدأ .. »
مرة أخرى قطعت المذيعة سيل أفكاره ..
وفى هذه المرة لم يضايقه ذلك ..
لقد كان ينتظر تلك اللحظة فى لهفة ..
وعادت الأضواء تسطع فى وجهه ، ومن حوله ..
وبدأ البرنامج ..
انتقلت صورته إلى كل شاشات التليفزيون ، وهو يبتسم فى فخر وسعادة ..
وبأسلوب منمق مدروس ، رسمت المذيعة على شفتيها ابتسامة جذّابة ، وهى تقول :
ـــ سيداتى آنساتى سادتى .. نلتقى اليوم مع مقاتل جديد ، من مقاتلى حرب أكتوبر المجيدة .. مع المقاتل (فايد عبد الله) .
انتقلت الكاميرا إلى وجهه ، وهو يبتسم ، مع صوت المذيعة ، وهى تقول :
ـــ كابتن (فايد) .. ما ذكرياتك عن معركة أكتوبر ؟
أجابها فى حماس :
ـــ كانت رائعة .

كان يرى أن هذه العبارة القصيرة تكفى ، إلا أن المذيعة أشارت إليه فى توتُّر أن يستطرد ، فتنحنح ، وتابع :

ــ كانت ملحمة للشجاعة والفداء .. كان الكل يقاتلون بكل قواهم ، ولقد كنت مع أوّل من عبروا قناة السويس ، وأوّل من رفعوا العلم المصرى على خط (بارليف) .

سألته المذيعة ، وهى تحتفظ بنفس الابتسامة المرسومة :

ــ وهل واصلت الحرب حتى وقف إطلاق النار ؟

أجابها فى أسى :

ــ كلّا للأسف .. لقد وقعت فى الأسر ، و.....

وفجأة بتر عبارته ..

وفى كل البيوت ، وأمام كل العيون ، اتسعت عيناه فى ذُعر هائل ، حتى كادتا تبتلعان شاشات التليفزيون ..

كان وجهه صورة حقيقية للرعب ..

للرعب بأبشع صوره ..

وارتبكت المذيعة .

ارتبك جميع العاملين فى (الاستوديو) ..

وهمست المذيعة فى توتر :

ــ أستاذ (فايد) .. ماذا أصابك ؟

أشار (فايد) بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول فى رعب :

ــ إنه هنا .

وهمست المذيعة فى توتر :

ــ أستاذ (فايد) .. ماذا أصابك ؟.

سألته فى توتّر :

ــ من هو هذا ؟

هبّ من مقعده صائحًا :

ــ إنه هنا .

صاح المخرج فى سخط :

ــ أوقفوا التصوير ، وضعوا جملة إعلانات ، حتى نفهم ما أصاب ذلك المجنون .

ولكن (فايد) ظلّ يتراجع فى رعب هائل ، أمام الجمع الذاهل ، وهو يردّد :

ــ إنه هو .. إنه هنا .

وفجأة اندفع يغادر (الاستوديو) فى رعب ، ويقفز درجات سلم مبنى التليفزيون فى هلع ، ثم لم يلبث أن غادر المبنى كله ، وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها فى سرعة مخيفة ، وهو مازال يردّد فى هلع :

ــ ربّاه !! إنه ليس كابوسًا هذه المرّة .. إنها حقيقة .. إنه هنا .

وفى (الاستوديو) ، كان الفنيون والمخرج والمذيعة يضربون كفًا بكف ، وهم يتساءلون عما أصاب ذلك الرجل ، ثم لم يلبث المخرج أن هتف :

ضعوا فيلمًا تسجيليًا عن حرب أكتوبر ، حتى نستعد للقاء آخر .

أما فى منزل (عصام) ، فقد راقب هو شاشة التليفزيون فى دهشة ، فى أثناء ذلك المشهد ، ثم لم يلبث أن هتف فى لهفة صحفى موهوب :

ــ يا له من موضوع !.. أراهن أن هذا الرجل قد استعاد ذكريات الأسر ، فأصابه هذا بالرعب .. إنه تحقيق رائع .

ظلّت الفكرة تراوده ، حتى أنه عجز عن إغماض جفنيه طيلة الليل ، ولم تكد الشمس تُشرق ، حتى حمل آلة التصوير ، وانطلق بسيارته يبحث عن عنوان (فايد) ، ولم يكد يحصل عليه ، حتى انطلق إلى منزله ، وهو يهنئ نفسه مقدمًا ، بذلك التحقيق الفريد ..

ولكنه لم يكد يصل إلى منزل (فايد عبد الله) ، حتى أدرك أن طبيعة تحقيقه ستختلف كثيرًا ، وأنها ستنتقل إلى صفحة الحوادث ، بدلًا من صفحة التحقيقات .. هذا لأن (فايد) لم يعد يستطيع الإدلاء بأية أحاديث ..

إنه ، وبكل بساطة .. انتحر ..

* * *

٢ ــ القضيَّة ..

« كيف علمت بالحادث ؟.. »

ألقى العقيد (خيرى) هذا السؤال على (عصام) ، فى لهجة جافَّة ، خالية من أية ملامح للصداقة القائمة بينهما ، فتطلَّع إليه (عصام) فى حيرة ، وقال :

ــ كنت قد قرَّرت ، منذ شاهدت ما حدث أمس ، على شاشة التليفزيون ، أن أكون أوَّل من يلتقى بـ (فايد عبد الله) ، لسؤاله عمَّا سبَّب له كل هذا الفزع فى أثناء عرض اللقاء معه على الهواء ، وعندما أتيت إلى منزله هنا ، فى الصباح ، وضغطت زر الجرس ، كان صوت الجرس مرتفعًا ، كما لو أنه يدقّ فى الخارج ، ولقد نبهنى هذا إلى أن الباب مفتوح ، فدفعته ودخلت ، ولم أكد أخطو بضع خطوات ، حتى فوجئت بذلك المسكين يتدلَّى من السقف ، وقد التفَّت أنشوطة حبل حول عنقه ، فسلبته الحياة .

قال (خيرى) فى حدَّة :

ــ يا لها من قصة مؤثِّرة !

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ ألا تصدِّق قصتى ؟!

أجابه فى سخط ، وهو يلوِّح بذراعه :

ــ أصدِّقها ، ولكننى أصبحت أتساءل ، عن سر وجودك دائمًا ، كلما تم استدعائى للتحقيق فى قضيَّة قتل !!

قال (عصام) فى توتُّر :

ــ هذه المرَّة الأمر يختلف .. إنها قضيَّة انتحار .

تطلَّع (خيرى) إلى رجال الإسعاف ، الذين ينقلون جثة (فايد) ، ثم نقل بصره إلى أنشوطة الحبل ، التى ما تزال تتدلى من السقف ، وغمغم :

ــ حتى الآن .

ثم أشار بيديه حوله ، مستطردًا فى ضيق :

ــ ألم تلاحظ أن كل ما حوله لا يشير إلى حادثة انتحار ؟!.. إنه يحيا وحده ، منذ سبع سنوات ، بعد وفاة زوجته ، ولم ينجب أبناءً ، وليس له أصدقاء دائمون ، أو أقارب معروفون ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد حرص على نظافة المنزل تمامًا ، والمنتحر لا يفعل ذلك فى المعتاد .

غمغم (عصام) ، وهو يتطلَّع حوله :

ــ ربما أراد أن يُبقى تاريخه نظيفًا ، أو .....

قاطعه (خيرى) :

ــ هُراء .. الانتحار جريمة ، تحظرها الشرائع السماوية ، والقوانين الدنيوية ، ولا يقدم عليها إلا شخص بائس ، جبان ، قنط من رحمة الله (سبحانه وتعالى) ، ويئس من عدل الدنيا ، وشخص يحمل هذه المشاعر ، لا يفكّر فى تاريخه أو مستقبله .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حدّة :

ــ ثم إنه لم يترك خطابًا خلفه ، يشرح فيه أسباب إقدامه على الانتحار ، كما يحدث عادةً .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ أمن الضرورى أن يفعل ؟

أجابه (خيرى) :

ــ فى تسع وتسعين فى المائة من حالات الانتحار ، يترك المنتحر مثل تلك الرسالة ؛ لأنه يشعر بضرورة معرفة الآخرين لسبب انتحاره ، حتى يورثهم بعض الندم على الأقل .

تمتم (عصام) .

ــ نعم .. هذا صحيح نسبيًا .

ثم نهض ، مستطردًا فى حزم :

ــ والآن .. هل تتهمنى بشىء ما ، أو أنه يمكننى الذهاب ؟

سأله (خيرى) :

ــ إلى أين ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ــ سأستكمل تحرياتى عن الأمر .. سأبحث عن رفاق (فايد) فى السلاح ، أوعن أقاربه .. سأدرس سجله العسكرى إن أمكن .. باختصار ، سأحاول التوصل إلى سبب انتحاره .

عقد (خيرى) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اسمع يا (عصام) .. حذار أن تدس أنفك فيما لا يعنيك ، فالأمر هذه المرة يخص مقاتلًا قديمًا ، ولن نسمح بتشويه صورته ، أو .....

قاطعه (عصام) مبتسمًا :

ــ حذار يا سيادة العقيد .. إنك تعترض حرية الصحافة ، وما دام لم يصدر قرار من النائب العام ، بحظر نشر ما يخص القضية ، فليس من حق أى مخلوق آخر منع نشر تفاصيلها ، أو حتى منع أى صحفى من جمع التحريات عنها .

هتف (خيرى) فى حنق :

ــ (عصام) .. إننى أحذّرك .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !!.. إننى أرتجف خوفًا .

وقبل أن ينطق (خيرى) بكلمة أخرى ، كان (عصام) قد اختفى خارج المنزل ..

لقد بدأ العمل ..

بدأ بحثه عن أسباب انتحار مقاتل ..

* * *

عقد مسئول الشئون المعنوية للقوات المسلحة حاجبيه ، وهو يتطلّع إلى (عصام) فى حذر وشك ، قائلًا :

ـــ تريد الاطلاع على ملف (فايد عبد الله) !!.. لماذا ؟!.. ما السبب ؟!

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـــ أنا صحفى ، وطبقًا لقانون الصحافة ، يحق لى الاطلاع على ..

قاطعه فى صرامة :

ـــ هذا لا ينطبق على القوات المسلحة .

حافظ (عصام) على هدوئه ، وهو يقول :

ـــ هذا صحيح ، لو أن الأمر يتعلّق بسر من أسرار الدولة ،

ولكننى أطلب بعض المعلومات العادية ، عن مقاتل معتزل ، انتقل إلى الحياة المدنية منذ خمسة عشر عامًا ، و.....

ضرب الرجل سطح مكتبه فى غضب ، وهو يقول فى حدّة :

ـــ قلت لك إن هذا ممنوع ، حتى لوطلبت معرفة اسم وزير الدفاع نفسه .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ ولكن اسم وزير الدفاع ليس سرًّا .

صاح الرجل :

ـــ إنه كذلك هنا .

تمالك (عصام) أعصابه فى صعوبة ، حتى لا يفسد الأمر ، وقال :

ـــ حسنًا .. ما الوسيلة القانونية الواجب اتباعها ، لاستخراج إذن رسمى بالاطلاع على ذلك الملف ؟

أجابه الرجل ، فيما يشبه الشماتة :

ـــ ستحتاج إلى إذن من وزير الدفاع مباشرة .

نهض (عصام) ، وهو يقول فى عناد :

ـــ سأحصل عليه .

ابتسم الرجل فى سخرية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فاستدار (عصام) محنقًا ، واتجه نحو الباب ، فى نفس اللحظة التى عبره فيها ضابط برتبة عميد ، ألقى على (عصام) نظرة جانبية خاوية ، ثم اتجه نحو مسئول الشئون المعنوية ، يسأله فى حزم :

ــ قل لى يا (عبد المنعم) ، ما موعد المناورة السريّة الجديدة ؟

نهض الرجل فى احترام ، وأسرع يجيب فى صوت مرتفع :

ــ ستبدأ فى الساعة ألفين وعشر ، يوم الخميس المقبل ، وستشترك فيها ستة ألوية ، وكتيبتا صاعقة ، وسيشرف عليها السيد المشير وزير الدفاع شخصيًا .

ابتسم العميد ، وقال :

ــ شكرًا يا (عبد المنعم) .

ثم انصرف فى هدوء ، دون أن يلقى حتى تلك النظرة الخاوية على (عصام) ، الذى وقف يستمع إلى الحديث فى ذهول ، حتى هتف به مسئول الشئون المعنوية فى حدّة :

ــ ماذا تفعل هنا ؟.. ولماذا لم تنصرف ؟

ابتسم (عصام) فى حنق ، وقال فى حدّة :

ــ كنت أنقل فقط تفاصيل المناورة السرية الجديدة .

صاح الرجل فى حدّة :

ــ اسمع أيها الصحفىّ .. هذه الأمور محظور نشرها ، ولو جرؤت على الفعل ، سيُلقى القبض عليك ، و .....

قاطعه (عصام) فى سخرية :

ــ اطمئن .. لست أفكّر فى نشرها .

هدأت أعصاب الرجل ، وابتسم فى ظفر ، قائلًا :

ــ هذا أفضل .

أضاف (عصام) فى لهجة استفزازية :

ــ سأبيعها للعدو فحسب .

اتسعت عينا الرجل فى ذهول ، على حين أسرع (عصام) ينصرف ، وهو يهزّ رأسه مستنكرًا ، مغمغمًا :

ــ يا له من محافظ على الأسرار !!

وقفز داخل سيارته ، وانطلق بها ، مستطردًا :

ــ يبدو أن أفضل الأمور ، مهما كانت الأحوال ، هو الاستعانة بفريقنا المدنى .

قالها وانطلق نحو هدفه ..

نحو مشرحة زينهم ..

* * *

ابتسم الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى الشاب ، فى خبث ، عندما رأى (عصام) يدلف إلى مكتبه ، ونهض يصافحه ، قائلًا :

ـــ مرحبًا يا (عصام) .. أهلًا بك فى المكان الذى تتشرَّف بكونك المدنى الوحيد ، من غير العاملين فيه ، الذى يهتمّ بزيارته .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ للضرورة أحكام يا صديقى .

ثم جلس إلى جواره ، وهو يستطرد :

ـــ أنت تعلم أن عملى قد صار وثيق الصلة بك .

حافظ (على) على ابتسامته الخبيثة ، وهو يقول :

ـــ أنا أيضًا أصبحت أهتم بعملك .. بل إننى قد اكتسبت بعضًا من فن الاستنتاج .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ كيف ؟

أجابه (على) فى دهاء :

ـــ لقد استنتجت مثلًا أنك قد شرَّفتنى بالزيارة ، من أجل تلك الجثَّة ، التى وصلت منذ ساعتين ، لذلك المقاتل المنتحر ، الذى أصابه الفزع أمس ، على شاشة التليفزيون .

ضحك (عصام) وهو يقول :

ـــ يا لك من ماكر !!.. لقد أتيت من أجل هذا بالفعل .

هتف (على) ، وهو يلوِّح بذراعيه على نحو مسرحىّ .

ـــ أرأيت ؟!

ابتسم (عصام) فى هدوء ، ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام شديد :

ـــ قل لى : ما الذى توصَّلت إليه ؟

هزَّ (على) كتفيه ، وقال :

ـــ لا شىء .. إننى لم أبدأ فى فحص الجثة بعد .

ثم نهض مستطردًا :

ـــ ما رأيك فى أن تشاركنى تلك المهمة ؟

نهض (عصام) خلفه ، وهو يغمغم :

ـــ يا لها من مهمَّة !

اتجه الاثنان إلى قاعة التشريح ، حيث وُضِعَتْ جثة (فايد) ، تغطيها ملاءة زرقاء ، وتوقَّفا أمامها ، وقال (على) :

ـــ والآن يا صديقى ، تمالك نفسك .. سنبدأ الفحص .. وكشف الملاءة عن الجثة ..

ـ والآن يا صديقى ، تمالك نفسك .. سنبدأ الفحص .. وكشف الملاءة عن الجثة ..

وانتفض جسد (عصام) فى اللحظة الأولى ، وهو يتطلّع إلى الوجه الأزرق والعينين الجاحظتين ، ثم لم يلبث أن ألقى جزعه جانبًا ، عندما سمع الدكتور (على) يهتف :

ـ يا إلهى !!.. إنه أمر واضح للغاية .

سأله (عصام) فى لهفة :

ـ أى أمر هذا ؟

أشار (على) إلى تلك العلامة ، التى أحاطت بالعنق كله ، وهى تحمل شكل الأنشوطة ، التى كان الرجل يتدلّى منها ، وقال :

ـ هذه العلامات تبدو عميقة فى الجلد ، على استدارة العنق كله ، ثم إنها أفقية تمامًا ، وزرقة الموت تتكثف فى الوجه والعنق .

سأله (عصام) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟

هتف (على) فى حماس :

ـ الكثير .

ثم لوّح بكفيه ، مستطردًا :

ـ عندما يشنق شخص ما نفسه ، فإنه يحيط عنقه

بأنشوطة الحبل ، ثم يُلقى نفسه من مكان مرتفع ، أو يدفع مقعدًا من أسفله ، وفى الحالتين يتدلّى جسمه ، ويضغط الحبل فى قوة على الجزء الأمامى من عنقه ، أسفل ذقنه تمامًا ، ثم يرتفع بزاوية مائلة ، ويقلّ ضغطه على العنق ، كلما ارتفع نحو الأذنين ، بحيث لا تكون هناك أية علامات تقريبًا عند مؤخرة العنق ، ثم إن زرقة الموت فى هذه الحالة تسقط إلى القدمين ، ولا تتكثف فى الوجه والعنق ، وهذا بفضل الجاذبية الأرضيّة الطبيعيّة .

هزّ (عصام) رأسه ، وقال :

ـــ صدقنى يا دكتور (على) .. لست أفهم شيئًا حتى الآن .

رفع الرجل حاجبيه ، هاتفًا :

ـــ كيف ؟.. إنه أمر واضح للغاية !

ثم أشار إلى الجثّة ، مستطردًا :

ـــ هذا الرجل لم ينتحر .. لقد قُتِل .. قُتِل خنقًا حتى الموت ..

* * *

٣ ـــ المفاجأة ..

« قُتِل ؟!!..... »

لو أننا أردنا الإنصاف حقًّا ، لأضفنا مائتى علامة تعجب ـــ على الأقل ـــ بعد تلك الكلمة ، التى ألقاها (عصام) فى ذهول تام ، وهو يحدّق فى جثة المقاتل الممدَّدة أمامه ، قبل أن يمسك يد الدكتور (على) فى قوّة ، هاتفًا :

ـــ أأنت واثق ؟.. أأنت واثق من هذا !؟

هتف الدكتور (على) مستنكرًا :

ـــ ماذا تقول يا (عصام) ؟.. إن أى طبيب شرعى مبتدئ ، أو حتى طبيب امتياز ، أو طالب فى كلية الطب ، يمكنه إدراك ذلك بكل بساطة .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ إذن فقد قُتِل .. يا إلهى !!.. إنها جريمة قتل .

وبلغ انفعاله ذروته ، وهو يهتف :

ـــ ولكن من ؟ .. من قتله ؟

هزَّ (على) كتفيه ، وقال :

ـــ من يدرى ؟

ثم أسرع يستدرك :

ـــ ولكننى أستطيع منحك بعض المعلومات عن القاتل .

هتف (عصام) :

ـــ كيف ؟!

أجابه فى ثقة :

ـــ إنه أوَّلًا رجل قوى ؛ لأن الحبل الذى استخدمه ، فى خنق هذا المقاتل المسكين ، كاد يغوص فى لحمه ، ويجتز عنقه ، من شدة الضغط .

وانحنى يمسك يد القتيل ، ويفحص أظفارها فى اهتمام ، وفيما خيَّل لـ (عصام) أنه دهر كامل ، وهو ينتظر النتيجة فى لهفة ، قبل أن يعتدل (على) مستطردًا :

ـــ ولو أنك انتظرت نصف ساعة فقط ، فسأخبرك بفصيلة دم القاتل أيضًا .

سأله (عصام) فى لهفة :

ـــ كيف ؟!

أشار (على) إلى أحد أظفار الجثة ، قائلًا :

ـــ انظر هنا .. لو أنك دقَّقت النظر ، فستجد أن القتيل قد قاوم قاتله فى عنف ، قبل أن يلقى حتفه ، بدليل أنه قد خدشه بأظفاره ، أو على وجه الدقة ، بهذا الظفر بالذات .. صحيح أنه خدش بسيط للغاية ، ولكنه انتزع بُعيضًا من خلايا جلد القاتل ، مع قطرات ميكروسكوبية من دمه ، وبفحصها على الوجه الأمثل ، يمكنك معرفة لون بشرة القاتل ، وفصيلة دمه .

ثم تنهَّد ، مستطردًا :

ـــ ولكن هذا سيفيدك فقط ، فى حالة وجود عدد من المشتبه فيهم .

زفر (عصام) فى حدَّة ، وهو يقول :

ـــ أتعلم أن هذا أصعب ما يكتنف الأمر ؟ فهذا المقاتل يعيش شبه منعزل منذ سبع سنوات ، فلا يزور أحدًا ، ولا يزوره أحد .. لا أقارب .. لا أصدقاء .. لا زملاء .. حتى جيرانه لم يعد يلقى عليهم حتى تحية الصباح .. لقد كان يعيش فى حالة من الاكتئاب ، على الرغم من صغر سنه ، جعلتنى أميل إلى تصديق قصة انتحاره ، لولا ما قلته أنت الآن ، ولقد شعرت بحيرة حقيقية ، وأنا أسمعك الآن تقول

إنك تستطيع معرفة لون بشرة القاتل ، وفصيلة دمه ، فى نفس الوقت الذى لا أملك أنا فيه دليلًا واحدًا ، يمكنه أن يقودنى إلى القاتل ، ولا حتى إلى مشتبه فيهم ، يمكننى أن أنتقى من بينهم من .....

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه فى شدَّة ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !!

وأمام عينيه دار شريط سريع ..

رأى (فايد) وهو يقص قصته ، حتى يبلغ نقطة وقوعه فى الأسر ..

وفجأة رأى الذعر يرتسم على وجهه ..

رآه يقفز من مكانه ، صائحًا :

ــ إنه هنا .. إنه هنا ..

وكان يشير إلى حيث يقف فتيُّو التليفزيون عادةً ..

إلى الكواليس ..

لقد رأى شخصًا ما ..

رأى من يبغضه ..

رأى قاتله ..

وفى انفعال شديد ، التفت (عصام) إلى الدكتور (على) ، هاتفًا :

ــ لقد عثرت عليهم .. لقد وجدت المشتبه فيهم .

سأله (على) فى لهفة وفضول :

ــ من يا (عصام) ؟.. من ؟

اندفع (عصام) يغادر المكان ، وهو يهتف :

ــ واصل أنت عملك ، وسأخبرك فيما بعد ..

هتف (على) :

ــ قل لى أين ستذهب على الأقل ؟

أجابه (عصام) فى لهفة :

ــ إلى التليفزيون .. إلى (ماسبيرو) .

سأله (على) فى دهشة :

ــ هل ستذيع الأمر على الهواء مباشرة ؟!

ولكن (عصام) لم يجب ..

إنه حتى لم يكن هناك ..

كان ينطلق بسيارته نحو الهدف ..

نحو التليفزيون هذه المرة ..

* * *

رسمت تلك المذيعة الحسناء على شفتيها تلك الابتسامة المدروسة ، التى تقضى نصف وقت فراغها فى التدرّب عليها أمام المرآة ، وهى تستقبل (عصام) ، قائلة :

ــ أستاذ (عصام كامل) ، الصحفى الشهير ، يا لها من مناسبة طريفة .. كم يسعدنى أن تأتى لرؤيتى !! قل : ألا ترغب فى الاشتراك فى برنامج تليفزيونى ؟.. صدقنى إنك شخصية محبوبة ، وسيسر المشاهدين رؤيتك فى برنامجى المعروف .. هل تشاهده ؟

قال (عصام) فى توتُّر :

ــ معذرة يا سيِّدتى .. لم آت من أجل هذا ، ولكن .....

قاطعته فى سرعة :

ــ لو أنك تشاهد برنامجى ، لوجدت أنه أفضل برنامج يمكننى تقديمك من خلاله إلى الجمهور .. أتصدّق أن عددًا ضخمًا من قرائك يجهل صورتك ؟! إن بعضهم يتصوّرك كهلًا ، أو شابًا فى منتصف الثلاثينات ، ولا أحد يتصوّر أبدًا أنك بمثل هذا الشباب ، وهذه الوسامة .

قال (عصام) فى ضجر وتوتُّر :

ــ شكرًا لك ، ولكننى ..

قاطعته مرَّة أخرى :

ــ آه .. لو أنك تعمل فى الصحافة الفنيَّة ، لتصوَّرت أنك تطلب الحصول على تحقيق صحفى معى .. أتعلم أننى أرفض الإدلاء بأية تحقيقات ، إلا للمجلات والصحف الجادة ؟ وأننى سأظهر قريبًا فى فيلم سينمائى ، و .....

قاطعها هو هذه المرة فى حدَّة :

ــ كفى .. استمعى إلىَّ .. لسنا فى برنامج تليفزيونى ، لتستأثرى بالحديث كله .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وهى تهتف مستنكرة :

ــ أستاذ (عصام) .

هتف قبل أن تستطرد :

ــ اسمعى .. لست هنا للظهور على شاشة التليفزيون ، ولا للحصول على تحقيق صحفى معك .. إننى هنا للتحقيق فى جريمة قتل .

شحب وجهها فى شدَّة ، وهى تهتف بصوت مختنق :

ــ قتل ؟!

ثم اندفعت فجأة تقول :

ــ هل حدثت جريمة قتل هنا فى مبنى التليفزيون ؟!.. متى

حدث ذلك ؟ وكيف ؟.. هل القتيل هو المخرج (يونس فهمان) ؟.. يقولون إن له علاقات نسائية متعدّدة .. صدقنى مثل هذا الرجل يستحق القتل .. إنه يستحق القتل .. إنه رجل سخيف متصاب ، و .....

قاطعها (عصام) فى غضب :

ـ أخبرينى بكل صراحة .. ألم يخبرك أى مخلوق من قبل ، أنك ثرثارة ؟

حدّقت فى وجهه بذهول ، ثم صاحت محنقة :

ـ أستاذ (عصام) .. إنك ....

أسرع يقاطعها :

ـ لو أن أحدهم قال لك ذلك ، فهو مخطئ .. إنك إنسانة رائعة ، لا تملكين أدنى قدر من الفضول ، وتميلين إلى الصمت .

تطلّعت إليه فى شك ، وبدا لها ، على الرغم من أسلوبه المهذّب ، أنها تشمّ فى كلماته رائحه ساخرة ، ولكن ملامحه ظلّت هادئة ، جامدة ، وهو يتطلّع إليها ، فلم تملك فى النهاية إلا أن تتنحنح ، مغمغمة :

ـ شكرًا لك .

وصمتت لحظة ، لم ينطق هو خلالها بحرف واحد ، فاضافت فى عصبيّة :

ـ عن أية جريمة تتحدّث ؟

أجابها ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة ظافرة ، أثارت حنقها :

ـ هل تذكرين المقاتل (فايد عبد الله) ، الذى أصابه الذعر أمس ، فى أثناء بث لقائك معه على الهواء ؟

هتفت :

ـ بالطبع .. إنه رجل مخبول .. أهو القاتل ؟

أجابها فى حزم :

ـ بل القتيل .

امتقع وجهها ، وهى تقول فى شحوب :

ـ القتيل ؟!.. هل قُتل ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لقد حاول قاتله أن يوهمنا بأنه قد انتحر ، ولكن الدكتور (على) ، الطبيب الشرعى ، كشف الحقيقة منذ ساعة واحدة ، فى مشرحة زينهم ، وهو يعكف الآن على التقاط بعض البقايا ، من تحت أظفار القتيل ، ليعلم منها لون بشرة القاتل ، وفصيلة دمه .

ازداد امتقاع وجهها ، وهى تغمغم :

ـــ وما شأنى أنا ؟

مال نحوها ، قائلًا :

ـــ لقد رأى القتيل وجهًا ، بين وجوه فنّيى التليفزيون ، الذين كانوا يواجهونه ، لحظة البث ، وكان يعرف هذا الوجه جيّدًا ، ولقد أصابته رؤيته بفزع شديد ، لسبب ما ، ولا ريب عندى فى أن صاحب هذا الوجه هو الذى قتله .

قالت فى عصبيَّة :

ـــ أتعنى أن قاتله هو أحد العاملين هنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـــ بالتأكيد .. وهو على وجه التحديد ، أحد من كانوا داخل (الاستوديو) أمس ، وبمزيد من التحديد ، أحد الذين كانوا يقفون فى مواجهة القتيل ، فى تلك اللحظة ، التى أصابه فيها الذعر .

عقدت حاجبيها مفكّرة ، وغمغمت :

ـــ كان هناك ستة أشخاص على الأقل ، ولقد دخل ثلاثة آخرون فى أثناء التصوير ، و .....

قاطعها فى لهفة :

ـــ أين هم الآن ؟

مال نحوها ، قائلًا :

ـــ لقد رأى القتيل وجهًا ، بين وجوه فنّيى التليفزيون ..

تردَّدت لحظة ، ثم قالت :

ـ لا ريب أنك ستجد بعضهم هنا .

قال فى حزم :

ـ حسنًا .. سأتحدَّث إليهم على الفور .

وفى تلك اللحظة ، كان هناك شخص يسترق السمع عن قرب ، ولقد عقد هذا الشخص حاجبيه فى غضب ، وهو يغمغم :

ـ أنت ذكى بالفعل أيها الصحفى ، وسيقضى عليك ذكاؤك هذا .

ثم ابتسم فى سخرية ، وفرد أصابعه أمامه ، مستطردًا :

ـ ولكن بعد أن ندمِّر الأدلة أوَّلًا .. كلها ..

* * *

٤ ـ الخدعة ..

بدت المذيعة الحسناء شديدة التوتُّر ، وهى تضغط زرًّا صغيرًا ، فوق سطح مكتبها ، وتقول فى عصبيَّة :

ـ أنت مخطئ ولا شك يا أستاذ (عصام) .. من المستحيل أن يكون هناك قاتل ، بين العاملين بالتليفزيون .

قال (عصام) فى لهجة أقرب إلى السخريَّة :

ـ عجبًا !!.. ألا يقبل التليفزيون إلا الملائكة ، للعمل فيه ؟

عقدت حاجبيها المنمقين . وهى تقول فى حدَّة :

ـ ماذا تقصد ؟

أجابها فى صرامة :

ـ أقصد أن البشر هم البشر ، أيًّا كان موقعهم ، وأيًّا كانت وظيفتهم ، وما داموا بشرًا ، وليسوا ملائكة أو شياطين ، فسنجد بينهم الخيِّرين والأشرار ، فى كل الأماكن والأزمنة والمواقع .

لوّحت بكفّها ، هاتفة في حنق :

ـ حسنًا .. لن أجادلك مرّة أخرى .

قال في حدّة :

ـ هذا أفضل .

همت بنطق عبارة حادة ، لولا أن دلف عامل البوفيه في تلك اللحظة ، ووقف ينتظر أوامرها ، بعد أن استجاب لنداء الجرس ، الذي ضغطت زرّه ، فقالت في عصبيّة :

ـ مَنْ هنا مِنْ طاقم (استوديو) رقم (أربعة) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا أحد .. لم يأت أحدهم بعد ، فالوقت ما زال مبكّرًا .

كان عامل البوفيه شابًّا ، يبدو من هيئته أنه ذكي ، من وسط اجتماعي مرتفع نسبيًّا ، مما أثار دهشة (عصام) ، فاتجه إليه ، يسأله في اهتمام :

ـ أأنت واثق ؟

أجابه الشاب في هدوء :

ـ تمام الثّقة يا أستاذ (عصام) .

رفع (عصام) حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :

ـ هل تعرفني ؟

ابتسم الشاب ابتسامة لم ترق لـ (عصام) ، وهو يقول في هدوء .

ـ ومن ذا الذي يجهلك ؟

أجابه (عصام) في حدّة :

ـ الكثيرون يجهلون صورتي على الأقل .

أجابه الشاب ، وهو يحمل نفس الابتسامة الغامضة :

ـ ليس من يهتمون بأمرك .

حَدجه (عصام) بنظرة شك وريبة ، وهو يسأله في حذر :

ـ ما اسمك ؟.. وأي مؤهل تحمل ؟

أجابه الشاب في هدوء :

ـ اسمي (عاصم) ، وأنا خريج كلية تجارة عين شمس .

هتف (عصام) في دهشة :

ـ أتحمل بكالوريوس التجارة ، وتعمل كعامل بوفيه ؟

عاد الشاب يبتسم تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يقول :

ـ أهناك عيب في أن أعمل من أجل لقمة العيش ، ما دمت لا أجد عملًا يناسب تخصّصي ، ولم يصلني خطاب القوى العاملة بعد ؟!

تطلّع إليه (عصام) بضع لحظات فى شك ، ثم قال :

ــ كلّا .. ليس هناك عيب .

التفت الشاب إلى المذيعة ، وقال فى هدوء :

ــ أثمّة خدمة أخرى يمكننى تقديمها يا سيّدتى ؟

هزّت المذيعة رأسها نفيًا ، وقالت :

ــ كلّا يا (عاصم) .. يمكنك أن تنصرف .

استدار الشاب لينصرف ، ولكنها استوقفته مستدركة :

ــ ولكن أبلغ من تراه ، من طاقم (استوديو ــ ٤) ، أن الأستاذ (عصام كامل) الصحفى يرغب فى التحدّث إليه فى حجرتى .

وهنا سأله (عصام) فى صرامة مفاجئة :

ــ قل لى أوّلًا : أين كنت أمس ، عندما حدث الهرج فى (استوديو ٤) ؟

سأله الشاب فى هدوء :

ــ أتقصد عندما أصيب ذلك المقاتل بالذعر ؟

أجابه (عصام) فى عصبيّة :

ــ نعم .. هذا ما أقصده .. أين كنت حينذاك ؟

ابتسم الشاب ابتسامة خبيثة ، بدت لـ (عصام) وكأنها تحمل قدرًا هائلًا من السخرية ، وهو يقول :

ــ كنت هناك .. فى (استوديو ــ ٤) .

ثم استدار فى هدوء ، وغادر المكان ، فغمغمت المذيعة :

ــ لا أظنك تشك فى أمره .. إنه شاب هادئ مهذّب ، لم يشك منه أحد ، منذ تم تعيينه هنا .

غمغم (عصام) :

ــ هذا يثير الشك أكثر .

ثم اتجه نحو الباب ، فهتفت به فى دهشة :

ــ إلى أين ؟

أجابها فى حماس :

ــ سأبدأ تحرياتى .. سأبدؤها به .. بـ (عاصم) .

وأغلق الباب خلفه فى حدّة ..

* * *

عقد الدكتور (على) حاجبيه ، وهو يذيب قطرة جافة من الدم ، انتزعها من تحت ظُفُر جثة (فايد) ، فى محلول ملحى مخفّف ، وغمغم وهو يرجّ المزيج فى قوّة :

ــ تبًا لهذا العمل !! لقد تصوّرت أنه سيستغرق نصف ساعة على الأكثر ، ولكن هأنذا أعمل منذ ساعتين ، لاستخلاص ميكروجرامين من الدم ، دون أن تلوّثهما أيّة شوائب ، أو تختلط بهما قطرة من دم القتيل .

واصل الرج بضع لحظات ، ثم ابتسم ، متمتمًا :

ـــ ولكننا حققنا نصف النجاح على الأقل .. لقد توصّلنا إلى لون بشرة القاتل .

كان منهمكًا فى عمله ، حتى أنه لم ينتبه إلى ذلك الشخص ، الذى تسلّل إلى حجرته فى حذر ، بل راح يقطّر قطرات من المزيج فى عدّة محاليل مختلفة ، ثم انحنى يتابع تفاعلاته معها فى اهتمام ، قبل أن يقول فى حماس :

ـــ رائع .. إن دم القاتل إذن من فصيلة ..

لم ينطق رمز الفصيلة ..

لم ينطقه لأن ثقلًا هوَى على مؤخرة رأسه فى اللحظة ذاتها ، فاتسعت عيناه فى ألم وذهول ، وتجمّد فكه لحظة ، ثم سقط رأسه على سطح المكتب ، وسالت الدماء من مؤخرته فى غزارة ..

وفى هدوء ، ألقت يد ترتدى قفازًا جلديًا ، الثقل الملوّث بالدم جانبًا ، ثم التقط صاحبها من تحت الميكروسكوب شريحة صغيرة ، وتناول المزيج ، وكل المحاليل المتفاعلة ، وهو يغمغم :

ـــ معذرة .. لن أترك دليلًا واحدًا يدينني .

وفى هدوء ، حطّم كل الأدوات ، وسكب المحاليل ، وهشّم الشريحة ، ثم ابتسم قائلًا :

لم ينطقه لأن ثقلًا هوَى على مؤخرة رأسه فى اللحظة ذاتها ، فاتسعت عيناه فى ألم وذهول ..

ـ والآن انتهت الأدلّة ، ولم يبق سوى ذلك الفضولى السخيف .. (عصام) .

* * *

تبع (عصام) عامل البوفيه الشاب فى حذر ، بعد أن غادر حجرة المذيعة ، ورآه ينحرف فى قاعة جانبية ، بدلًا من أن يعود إلى البوفيه ، فانحرف خلفه ، واختبأ خلف بعض قطع الديكور الضخمة ، ولكن الشاب توقّف بغتة ، وتلفّت حوله ، ثم بقى فى مكانه لحظة ، وانحرف فجأة ، وبحركة حادّة ، ليختفى خلف بعض قطع الديكور الأخرى ..

وتردّد (عصام) فى موقعه لحظات ..

وراح يتساءل فى حيرة : هل يعدّ له الشاب فخًا ؟!..

هل انتبه إلى تتبعه له ، وأراد أن يتيقّن من ذلك ؟

لم يكن الجواب سهلًا ..

كان يحتاج إلى بعض المخاطرة ..

فليخاطر (عصام) إذن ، أو يخسر اللعبة كلها ..

وبسرعة حسم أمره ، وغادر مكانه ، ثم اتجه فى خطوات سريعة إلى حيث اختفى الشاب ..

ولكن الشاب لم يكن هناك ..

لقد اختفى ..

تبخّر ..

ذهب وكأنه لم يكن ..

وتلفّت (عصام) حوله فى حذر ..

كان واثقًا من أن الشاب لم يغادر المكان ..

لم يكن هناك مخرج آخر ..

ولكن الشاب قد اختفى ..

فأين ذهب ؟..

أين ؟..

تسمّر (عصام) فى مكانه لحظات ، ثم قال فى حدّة :

ـ أعلم أنك لم تذهب بعيدًا ، وأنك هنا ، فأين تختبئ ؟

أتاه من فوقه صوت ساخر يقول :

ـ هنا .

وقبل أن يرفع رأسه إلى أعلى ، هبط الشاب من فوق أحد الديكورات ، ولم يكد يلمس الأرض بقدميه ، حتى استلّ من جيبه مسدسًا ، ألصقه برأس (عصام) ، مستطردًا بنفس اللهجة الساخرة :

ـ والآن كيف تفضّل الحصول على الجواب ؟.. على هيئة جملة أنيقة ، أم رصاصة تخترق رأسك ؟!

* * *

٥ ــ الاعتقال ..

شعر (عصام) بغضب شديد ، عندما التصقت فُوَّهة المسدَّس الباردة برأسه ، وتحفَّزت عضلاته كلها للعمل ، ثم لم يلبث أن تذكَّر حياته فى الماضى ، قبل أن يتعرَّف (عماد) و (عُلا) ، وينغمس معهما فى عالم مكافحة الجريمة ، ثم يسحبهما والدهما من ذلك العالم ، ويتركه وحده فيه ..

فى الماضى كان شابًا مسالمًا ، يستحيل أن يُقحم نفسه فى صراعات جسدية ، أو مشاجرات يدوية ..

كان قتاله دائمًا على الورق ..

وسلاحه الوحيد هو القلم ..

وحتى فى ذلك المضمار ، لم يكن يحظى بالنصر كثيرًا ..

كان مجرَّد صحفى عادى ، ألحقته الجريدة ، التى تم تعيينه فيها ، بقسم متابعة الحوادث والقضايا ، لسد عجز عددى فى ذلك القسم ــ حينذاك ــ ولاضطرارهم لقبول خريج جديد ، من خريجى كلية الإعلام ، بين صفوفهم ..

أيامها لم يكن يهوَى ذلك العمل ، ولكنه حمد الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأنهم لم يرسلوه إلى قسم أخبار الفن مثلًا ..

وبدأ يزاول عمله بلا حماس ، وبلا تفوّق ..

ثم التقى بـ (عماد) و (عُلا) ..

كانت نقطة تفوّق حقيقيَّة فى حياته ، قفزت به فجأة إلى مصاف كبار الصحفيين ، وصار شهيرًا معروفًا ..

والأهم هو أنه قد صار مكافحًا للجريمة ..

صار اسمًا يخشاه المجرمون ، ويتطلَّع إليه الشرفاء ..

وهو لن يتنازل عن ذلك الموقع ، كما لن يتنازل عن ذلك التوقيع ، الذى عرفته به (مصر) كلها ..

توقيع (ع × ٢) ..

لم تكد تلك الذكرى تسرى فى كيانه ، حتى بعثت فى عروقه دمًا حارًّا ، جعله يهتف فى قوة :

ــ لا هذا ولا ذاك .

ثم انحنى بغتة ، ودار على عقبيه فى سرعة ، وكال لخصمه لكمة كالقنبلة ، وهو يهتف :

ــ سأحصل على الجواب من بين أسنانك المحطَّمة .

ولكن الشاب تلقى ضربة (عصام) ، على الرغم من قوتها ، على ساعده فى بساطة ، وهو يقول فى سخرية :

ــ هكذا !!

ثم هوى على معدة (عصام) بضربة رهيبة ، مستطردًا :

ــ هذا شأنك ..

وهوَى على معدته بضربة أخرى كالقنبلة ، متابعًا :

ــ أما أنا ، فأفضّل أن تبقى أسنان خصومى سليمة .

وقبل أن يجد (عصام) الفرصة للدفاع عن نفسه ، كان يتلقَّى ضربة ثالثة فى معدته ، مع صوت خصمه الساخر ، وهو يردف :

ــ حتى يمكنهم الإدلاء بما لديهم ، دون صعوبات .

انهار (عصام) أرضًا ، ودارت الدنيا به ، وهو يحاول النهوض ، ولكن خصمه انتزعه من الأرض فى قوة ، ودفعه أمامه ، وهو يلصق فُوَّهة مسدَّسه بظهره ، قائلًا فى صرامة :

ــ هيا بنا .. ستلتقى بشخص يرغب فى رؤيتك .

قال (عصام) فى حنق ، وهو يندفع أمامه مرغمًا :

ــ لقد أخطأت بفعلك هذا ، فأنت تقاتل كمحترف ، وليس كهاوٍ ، أو كشخص عادى يدافع عن نفسه .

هتف (عاصم) فى سُخرية :

ــ ومن قال إننى هاوٍ ؟!

قال (عصام) فى حدَّة :

ــ إذن فأنت محترف .

فتح (عاصم) باب حجرة جانبية ، ودفعه داخلها ، وهو يهتف :

ــ بالطبع .

اندفع (عصام) داخل الحجرة ، وتمالك توازنه فى صعوبة ، حتى لا يسقط على وجهه ، ولم يكد يعتدل ، حتى رأى أمامه وجهًا مألوفًا ، وسمع صوت صاحبه يقول فى هدوء :

ــ مرحبًا يا (عصام) .

اتسعت عينا (عصام) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، هاتفًا فى حنق ودهشة :

ــ أنت ؟!

ابتسم صاحب الصوت فى هدوء ، وهو يقول :

ــ نعم يا (عصام) .. أنا .. أنا خلف كل هذه الأحداث .

* * *

اندفع رئيس قسم الطب الشرعى جزعًا ، إلى مكتب الدكتور (على) ، الذى اكتظ بزملائه ، والعاملين فى المكان ، واتسعت عينا رئيس القسم فى دهشة وذعر ، عندما رأى الدماء النازفة من رأس (على) ، وهتف :

ــ ماذا حدث ؟

قال أحد الأطباء الشرعيين الشبان فى توتُّر :

ــ يبدو أن أحدهم قد تسلَّل إلى هنا ، وفاجأه بضربة قوية ، بذلك الثقل الملقى أرضًا ، على مؤخرة رأسه .

هتف رئيس القسم فى توتر :

ــ وهل .. هل مات ؟

أجابه طبيب شرعى آخر :

ــ كلَّا .. ولكن حالته بالغة الخطورة ، ولقد طلبنا سيارة إسعاف على وجه السرعة .

تطلَّع رئيس القسم إلى الموقف فى ذعر واضح ، وراح يردِّد :

ــ يا إلهى !!.. يا إلهى !!

ندَّت فجأة حركة من الدكتور (على) ، أثارت انتباههم جميعًا ، وهتفت طبيبة شابة :

ــ يبدو أنه سيستعيد وعيه ..

غمغم طبيب آخر :

ــ مستحيل !!

ولكن الدكتور (على) أثبت أن الأمر ليس مستحيلًا ، فقد فتح عينيه فى صعوبة ، وتطلَّع إلى الحشد المنحنى عليه بنظرة خاوية ، وبدا أنه يبذل جهدًا هائلًا ، لينطق بعبارة ما ، فهتف أحد الأطباء :

ــ اصمتوا .. يبدو أنه سيبلغنا باسم من اعتدى عليه .

التزم الجميع الصمت التام ، وأنصتوا لكلمات الدكتور (على) الخافتة ، وهو يغمغم :

ــ أبلغوا (عصام كامل) .. الصحفى .. الفصيلة (أ) .. والبشرة (بيضاء) .. أبـ ..

وسقط فاقد الوعى مرَّة أخرى ..

* * *

لبث (عصام) بضع لحظات ، يحدِّق فى وجه الرجل الجالس أمامه فى هدوء ، خلف مكتب صغير ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، قائلًا فى غضب :

ــ آه .. سيادة العقيد (عادل محمود) !.. كان ينبغى أن أتوقَّع ذلك ، فأنت تستخدم دومًا وسائل شاذة ، لإحضارى إلى هنا .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ أنت تضطرنى لذلك للأسف .

هتف (عصام) فى سخط :

ـ أضطرك ؟!.. لقد كنت أمارس عملى ، عندما هاجمنى هذا الوغد .

قال الشاب فى لهجة ساخرة :

ـ حذار أن تصفنى بالوغد أيها الصحفىَ ، فأنا نقيب محترم ، فى قسم مكافحة الجاسوسية ، بمباحث أمن الدولة .

قال (عادل محمود) فى صرامة :

ـ لا داعى لسرد تفاصيل شخصيَّتك كلها يا (عصمت) .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ (عصمت) ؟!.. وماذا عن (عاصم) إذن ؟

أجابه (عصمت) ضاحكًا :

ـ إنه اسم مؤقت .. أحمله للعمل فحسب ، أما اسمى الحقيقى فهو (عصمت) .. (عصمت فوزى) .

عاد (عادل) يقول فى حزم :

ـ اصمت يا (عصمت) .

ثم التفت إلى (عصام) ، قائلًا :

ـ اسمع يا (عصام) .. إنك تفسد عملنا بتدخلك هنا .

قال (عصام) فى حنق :

ـ إننى أؤدى عملى .

قال (عادل) فى حزم :

ـ ونحن أيضًا .

حدَّق (عصام) فى وجهه لحظات ، ثم غمغم فى حذر :

ـ وما شأن رئيس مكتب مكافحة التجسُّس بهذا ؟ بل ما شأن مباحث أمن الدولة كلها بحادثة انتحار أو قتل ؟

تنهَّد (عادل) ، وقال :

ـ الأمر ليس بالبساطة التى تتصوَّرها يا (عصام) .

وصمت لحظة ، ليفكِّر فى الأمر ، ثم استطرد :

ـ أتعلم سبب استبعاد ذلك المقاتل ، من صفوف الجيش ؟! .. لقد حدث هذا بعد عودته من الأسر ، عندما كشف المسئولون أنه قد أصيب بانهيار عصبىَ حاد ، بسبب التعذيب العنيف ، الذى تعرَّض له ، على يد أحد ضباط (الموساد) الإسرائيلى ، حتى أنه كان يرى وجه ذلك الضابط السادى فى أحلامه ، فيهبّ من رقاده فزعًا .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ مهلًا !!.. لقد بدأت أستوعب الأمر ، وهو يبدو لى مخيفًا .

قال (عادل) فى هدوء :

ـــ إنه كذلك بالفعل يا (عصام) .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :

ـــ إنها قضيَّة جاسوسيَّة يا (عصام) .

شعر (عصام) أن قدميه تعجزان عن حمله ، ومادت به الأرض ، حتى أنه ألقى نفسه فوق مقعد خشبىّ متهالك ، وهو يغمغم :

ـــ يا إلهى !

صمت (عادل) بضع لحظات ، وكأنما يمنحه بعض الوقت ، لاستيعاب الأمر ، ثم تابع :

ـــ إنها قضية مخيفة ، نتابعها منذ عام كامل ، وفى سريَّة مطلقة .. ولقد بدأت عندما أبلغنا أحد مصادرنا السريَّة فى (تل أبيب) ، بوجود جاسوس من (الموساد) فى أرضنا ، وأنه قد نجح فى تأمين نفسه بشخصيَّة جيِّدة ، وأنه يعمل فى مبنى التليفزيون ، ولكنه يجهل من هو .

غمغم (عصام) فى حيرة :

ـــ ما معنى أنه يؤمِّن نفسه بشخصيَّة جيِّدة ؟

قال (عادل) :

ـــ هذا يعنى أنه يحمل اسم شخص مصرى حقيقى ، له أقل عدد من الأقارب ؛ الذين يمكنهم تعرَّفه ، ويحمل هوية جيِّدة ، ذات تغطية ضعيفة ، كأن تكون سجلات ميلاد الشخصيَّة الحقيقيَّة قد احترقت مثلًا ، أو شىء من هذا القبيل ، وفى المعتاد ، يتمّ اختيار الشخصيَّة المصريَّة أوَّلًا ، وبعدها يتم البحث عن رجل المخابرات الذى يشبهه إلى حد كبير .

قال (عصام) فى اهتمام :

ـــ هذا يعنى أن الصدفة هى التى تختار الرجل .

هزَّ (عادل) رأسه ، قائلًا :

ـــ ليس بالضرورة ، فجراحات التجميل تتكفَّل بالباقى ، ولكن كلما كان هناك جزء طبيعى من التشابه ، كانت نتيجة جراحة التجميل أنجح .

هتف (عصام) :

ـــ إذن فقد رأى (فايد) ـــ رحمه الله ـــ وجه ضابط (الموساد) السادى ، بين وجوه من كانوا داخل (الاستوديو) ، فأصابه الرعب .

أجابه (عادل) فى حزم :

ـــ هذا صحيح .. ويمكنك أن تقول إن بطولة (فايد) كانت أحد أسباب نجاحنا فى الاستيلاء على خطّ (بارليف) ، أما عقدته ، فقد كانت أهم أسباب اختصار دائرة البحث عن الجاسوس ، فمنذ عام كامل ، ونحن نبحث عبثًا عن الجاسوس ، ونراجع ملفّات كل العاملين هنا بلا فائدة ، ودون أن يُسفر بحثنا عن أدنى أمل .

غمغم (عصمت) بأسلوبه الساخر :

ـــ ولقد سئمت أنا لعب دور عامل البوفيه .

بدا وكأن (عادل) لم يسمعه ، وهو يستطرد :

ـــ وكان هذا يدفعنا للشك فى الجميع ، حتى حدث ما حدث البارحة ، وهنا أيقنت ، بقدر قليل من الاستنتاج أن الجاسوس هو أحد من كانوا داخل (الاستوديو) ، وأصبحت دائرة البحث تقتصر على ثمانية أفراد .

هتف (عصام) فى حماس :

ـــ يمكننى اختصارهم إلى النصف على الأكثر .

عقد (عصمت) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى شكّ ، فى حين قال (عادل محمود) فى حذر :

ـــ كيف ؟!

اندفع (عصام) يروى لهما ما سمعه من الدكتور (على) ، واستمعا إليه فى اهتمام ، ثم قال (عادل محمود) :

ـــ رائع يا (عصام) .. هذا يختصر دائرة البحث بالفعل ، ويجعل احتمال النجاح كبيرًا .

تلفّت (عصام) حوله ، قائلًا :

ـــ ألا يوجد هنا هاتف ؟

قال (عصمت) فى صرامة :

ـــ لا عليك .. سنتولى نحن الأمر .

هبّ (عصام) واقفًا ، وهو يقول فى حزم :

ـــ إنها قضيّتى أنا .

اندفع (عصمت) يعترض طريقه ، وهو يقول فى حدّة :

ـــ اسمع أيها الصحفى ، هذه القضيّة تخصّ المحترفين وحدهم ، ولن نسمح لأى مدنى بإقحام نفسه فيها .. هذا ينافى القواعد .

قال (عادل) فى هدوء :

ـــ صدقت .

ثم أردف فى حزم :

ـــ لهذا فسيعمل (عصام) لحسابنا ، منذ هذه اللحظة .

اندفع (عصمت) يعترض طريقه ، وهو يقول فى حدّة :

ــ اسمع أيها الصحفى ، هذه القضية تخصّ المخترفين وحدهم ..

تطلّع إليه (عصمت) فى دهشة ، وهتف :

ــ سيّدى .. ليس من المألوف أن نستعين بالمدنيين ، فى قتال داخلى .

مال (عادل) إلى الأمام ، وابتسم هاتفًا :

ــ بالطبع ، وللسبب نفسه لن يتخيّل الجاسوس أن (عصام) يعمل لحسابنا ، وهذا سيمنحه قوة إضافيّة .

تألّقت عينا (عصام) فى ظفر ، على حين هتف (عصمت) :

ــ ولكن ..

قاطعه (عادل محمود) فى حزم :

ــ قلت إن (عصام) سيعمل لحسابنا .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا :

ــ ستتصل منذ هذه اللحظة بـ (عصمت) ، وحاول ألا تنسى أبدًا أنه مجرّد عامل بوفيه ، وأن اسمه الحقيقىّ هو (عاصم) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ أليس من الأفضل أن أعمل وحدى ؟

أجابه (عادل) فى حزم :

ــ كلّا .

قال (عصام) فى ضيق :

ــ فليكن .

ثم اندفع مغادرًا المكان ، وصفق بابه خلفه فى قوّة ، ولم يكد يفعل حتى التفت (عصمت) إلى (عادل) ، قائلًا :

ــ سيّدى .. أتظنه قد فهم ؟

هزّ (عادل) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ كلّا .. إنه سيؤدّى دوره بمنتهى الإتقان ، ولن يدرك أبدًا أننا نستخدمه ليكون مجرّد ..

صمت لحظة ، ثم استطرد فى هدوء :

ــ طُعم .

* * *

٦ ــ وبدأت اللعبة ..

أطلقت إطارات سيارة (عصام) صريرًا قويًّا ، وهى تتوقّف أمام المستشفى ، وقفز هو منها ، واندفع داخل قسم الاستقبال ، يسأل ممرضته فى عصبيّة وتوتُّر :

ــ أين حجرة الدكتور (على) ؟

سألته الممرّضة :

ــ أيهما .. مدير المستشفى ، أم الطبيب الشرعى المصاب ؟

هتف (عصام) :

ــ الأخير .

أشارت إلى ممر طويل على يسارها ، وهى تقول :

ــ آخر حجرة إلى اليسار .

تركها ، وأسرع يعبر الممر الطويل ، قبل أن ينحرف فى حجرة جانبيّة ، ويتوقّف مبهوتًا ..

كان الدكتور (على) يرقد على فراشه ، فى غيبوبة تامة ،

ويحيط به أحد أطباء المستشفى ، وطبيبان شرعيّان من زملائه ، ولم يكد الثلاثة يرون (عصام) ، حتى قال أحدهم :

ـــ إنه لم يستعد وعيه بعد .

تمتم (عصام) :

ـــ يا إلهى !!.. لقد اتصلت به فى مكتبه ، فأخبرونى أنه قد تعرّض لاعتداء بدنى ، وأنه هنا .

سأله أحد الطبيبين الشرعيين :

ـــ قل لى : أأنت (عصام) ؟

قال (عصام) فى دهشة :

ـــ نعم .. أنا (عصام كامل) الصحفى .

هتف الطبيب :

ـــ حمدًا لله .. لقد استعاد (على) وعيه مرتين ، وفى كلتيهما كان يدلى برسالة خاصة لك ، ثم يفقد الوعى مرّة أخرى .

سأله (عصام) فى لهفة :

ـــ ماذا كان يقول ؟

أجابه الطبيب الشرعىّ :

ـــ رسالة طيّبة .. فقد كان يبلغك بأن فصيلة الدم (أ) ، وأن البشرة بيضاء .

أومأ (عصام) برأسه ، علامة الاستيعاب ، ثم انتقل بصره إلى الدكتور (على) ، الفاقد الوعى ، واتجه إليه فى هدوء ، وربّت على كفّه ، مغمغمًا :

ـــ لقد فعلتها يا صديقى .. لقد قاومت كل العوامل ، ونجحت فى أداء دورك فى هذه المرّة أيضًا ، وسأبذل أقصى جهدى ؛ لأنجح فى أداء دورى أيضًا .

وتنهّد وهو يربّت على كفّه مرّة أخرى ، مستطردًا :

ـــ سأنتقم لك .. هذا وعد .

ثم استدار ، وغادر المكان ، دون أن يزيد حرفًا واحدًا .

* * *

استقبلت المذيعة الحسناء (عصام) فى مكتبها مرّة أخرى ، وتطلّعت إلى ساعتها ، وهى تقول فى قلق :

ـــ حمدًا لله أنك قد وصلت يا أستاذ (عصام) .. إن الزملاء الثمانية ينتظرونك فى الحجرة المجاورة ، وكانوا سيضطرون للانصراف ، لو أنك تأخّرت بعض الوقت ، فسيبدأ الإرسال بعد نصف الساعة فحسب .

تمتم (عصام) :

ـــ اطمئنى .. لن نستغرق كل هذا الوقت .

صحبها إلى الحجرة المجاورة ، حيث وجد ثمانية رجال ، نهضوا على الفور لمصافحته ، وهم يقولون :

ـــ أستاذ (عصام) .. كم يسعدنا أن نلتقى بك هنا .. إننا جميعًا نتابع تحقيقاتك البوليسية بمنتهى الشغف ، ولكنها أوَّل مرَّة نلتقى معًا وجهًا لوجه .

دار (عصام) بعينيه فى وجوههم ، وقال فى هدوء :

ـــ أظن أن هذا لا ينطبق على الجميع ، فأحدكم التقى بى من قبل ، أو استمع إلىَّ على الأقل .

سأله أحدهم فى دهشة :

ـــ من ؟!

دار (عصام) بعينيه فى وجوههم مرَّة أخرى ، ثم قال :

ـــ لست أدرى من ؟.. ولكن الشخص المقصود يعرف الجواب بالطبع .

تطلَّع بعضهم إلى البعض فى دهشة ، وغمغم أحدهم فى حَيْرَة :

ـــ أهو لغز جديد ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ يمكنكم اعتباره كذلك ، بل هو كذلك بالفعل .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـــ ما رأيكم لو اشتركنا جميعًا فى حلّه ؟

هتف أحدهم فى مرح وحماس :

ـــ سيكون هذا رائعًا .

وغمغم آخر فى حذر :

ـــ على ألا يستغرق ذلك وقتًا طويلًا .

لوَّح (عصام) بذراعه ، قائلًا :

ـــ إنها بضعة أسئلة فحسب ، ستؤدِّى إجاباتها إلى معرفة الشخص المنشود حتمًا .

قال أحدهم ضاحكًا :

ـــ حسنًا .. ألق سؤالك الأوَّل .

قال (عصام) مبتسمًا :

ـــ إنها لُعبة تعتمد على الاستبعاد ، فلنقل فى البداية إن الشخص المنشود أبيض البشرة .

ضحك أحدهم ، وقال :

ـــ هذا يستبعد (محمد) و (ممدوح) إذن ، فالأوَّل زنجى ، والثانى أسمر البشرة فى وضوح .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ عظيم .. إنه أيضًا قوى البِنية .

مطَّ أحدهم شفتيه ، قائلًا :

ـــ هذا يستبعدنى بالطبع ، وجسمى الواضح النحول خير دليل على ذلك .

قال (عصام) ، وقد بدأ الحماس يسرى فى جسده :

ـــ رائع .. هذا يختصر العدد إلى خمسة ، ماذا لو أضفنا أيضًا أنه يحمل فصيلة الدم (أ) ؟

ران الصمت لحظات ، ثم قال أحدهم :

ـــ هذا ينطبق علىَّ .

وقال ثان :

ـــ وأنا .

وهب الثالث هاتفًا فى مرح :

ـــ عجبًا !!.. أنا أيضًا أحمل نفس الفصيلة .

قالت المذيعة فى توتُّر ، وهى تنقل بصرها بين وجوه الرِّجال الثلاثة :

ـــ هذا يجعل المشتبه فيهم ثلاثة .. (ناصر) و (طارق) و (ماهر) .

غمغم (ماهر) فى دهشة :

ـــ مشتبه فيهم .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ نعم أيها السادة .. دعونا نكشف أوراقنا الآن .. إن الشخص الذى كنت أقصده ، والذى هو بالضرورة أحد هؤلاء الثلاثة ، هو قاتل .. قاتل حقير ..

* * *

ساد الصمت تمامًا ، طوال الدقيقة التى تلت عبارة (عصام) ، ثم تبادل الجميع نظرات الدهشة والاستنكار ، قبل أن ينفجر (ناصر) ، صائحًا فى غضب :

ـــ أى هراء هذا ؟.. كيف تجرؤ على ..؟

قاطعه (عصام) فى صرامة :

ـــ اسمعوا أيها السادة .. أنتم تذكرون بالطبع ذلك المقاتل ، الذى أصابه الذعر أمس ، فى أثناء بث أحد البرامج على الهواء مباشرةً .. حسنًا .. فلتعلموا إذن أن هذا الرجل قد قُتل ، وأن قاتله هو أحدكم .

صاح (طارق) :

ـــ ما معنى هذا الاتهام السخيف ؟

قال (عصام) فى حدَّة :

ـــ معناه أن محاولة إيهامنا بانتحار المقاتل قد فشلت ، وأننا

قد علمنا بوساطة طبيب شرعى بارع ، أن القاتل أبيض البشرة ، قوى البنية ، يحمل فصيلة الدم (أ) ، وعلمنا أن القاتل كان أحد الموجودين داخل (الاستوديو) ، وأن رؤيته هى التى أصابت المقاتل بالذعر ، ودفعته إلى الفرار ، وأنه قد انتبه إلى أن المقاتل قد تعرّفه ، فتبعه إلى منزله ، وقتله .

قال (ماهر) فى حدّة :

ــ وما شأنى أنا بذلك ، لقد كنت خارج (الاستوديو) طيلة الوقت ، ولم أصل إلا عندما أصاب الذعر الرجل بالفعل .

صاح فيه (ناصر) فى غضب :

ــ (ماهر) .. أتحاول تبرير موقفك ؟

قال (عصام) فى حزم :

ــ من الضرورى أن تحذو حذوه أيضًا يا سيِّد (ناصر) ، وكذلك أنت يا سيِّد (طارق) ، فبعد أن يثبت اثنان منكم براءتهما ، سيتبقّى واحد ، وهذا الواحد هو القاتل حتمًا .

هتف (ناصر) فى غضب :

ــ أى هراء هذا ؟.. المفروض أننا أبرياء ، حتى تثبت إدانتنا ، وليس العكس .

أما (ماهر) ، فأسرع يهتف :

ــ أظننى قد أثبت براءتى منذ لحظات .

صاح (طارق) فى حدّة :

ــ أتعنى أننى و (ناصر) فقط فى اللعبة ؟!

هتف (ماهر) مضطربًا :

ــ كلّا .. لم أقصد هذا ، فقط أردت أن أقول إننى....

قاطعته المذيعة فى حزم :

ــ كفى .. ليس هناك وقت لذلك .. سيبدأ الإرسال بعد قليل ، ومن الضرورى أن يحتل كل منا موقعه .

قال (ناصر) فى حنق :

ــ أنت على حق .

ثم دفع (عصام) جانبًا ، واتجه نحو باب الحجـــرة ، مستطردًا :

ــ لا مكان للحشرات هنا .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ صدقت .

ثم أضاف فى حزم :

ــ إننا نسحق الحشرات البشرية .. أينما وجدت .

* * *

اتخذ (عصام) رُكنًا قصيًا فى (استديو ــ ٤) ، وراح يراقب المذيعة الحسناء ، التى تسلّطت عليها الأضواء ، مع بدء الإرسال ، وراح يتساءل فى أعماقــه فى دهشة ، عن قوة أعصابها المدهشة ، التى جعلتها تقف أمام آلات التصوير هادئة مبتسمة ، بكامل زينتها وتألقها ، وهى التى كانت ترتجف وترتعد منذ لحظات ..

وأمام ابتسامتها الجذّابة ، لم يملك (عصام) إلا الابتسام ، دون أن يدرى شيئًا عما يدور فوق رأسه ..

وفى الاستديوهات ، نادرًا ما ينتبه المرء إلى ما فوقه ..

إن الأضواء ، التى يتم تسليطها على المذيعة ، أو على ضيف البرنامج ، تجعل كل ما هو خارجها غارقًا فى ظلام دامس ..

ظلام يسمح لقيل بالتسلّل ، دون أن يشعر به أحد ..

وفى هذه المرّة ، لم يكن المتسلّل قيلًا ..

كان جاسوسًا .

جاسوسًا مدرّبًا ، محترفًا ..

وكان هذا الجاسوس يريد القتل ..

قتل (عصام) ..

وفى خفة وهدوء ، تسلّل الجاسوس إلى واحــد من الكشّافات الضخمة ، التى تضىء الاستوديو ..

اتخذ (عصام) رُكنًا قصيًا فى (استوديو ــ ٤) وراح يراقب المذيعة الحسناء ، التى تسلّطت عليها الأضواء ..

وفى هدوء راح يقطع الحبال التى تشده إلى السقف ..

وراح الكشّاف الضخم يتخلخل تدريجيًا ..

وراح يهتزّ فى بطء ..

وفجأة انقطع الحبل ..

وهوَى الكشّاف ..

هوَى على رأس (عصام) مباشرةً ..

* * *

٧ ــ الصراع ..

كان (عصمت) هو أوّل من لاحظ الأمر ..

حاسته القويّة المدرّبة لاحظت اهتزاز ضوء الكشّاف ، فرفع عينيه إليه ، ورأى ما يحدث ..

رآه فى اللحظة الأخيرة ..

فى لحظة سقوط الكشّاف الثقيل على رأسه ..

وبكل ما يملك من قوّة ، صرخ (عصمت) :

ــ احترس يا (عصام) .

وفى لمح البصر ، كان يندفع نحو (عصام) ، ويحيط وسطه بذراعيه ، ثم يدفعه أمامه بعيدًا ..

وهوَى الكشّاف ..

ودوَّى انفجار رهيب ..

وقفزت المذيعة الحسناء من مقعدها ، وهى تُطلق صرخة مدوّية ..

وارتفع صراخ كل العاملين فى الاستوديو ..

وتطايرت شظايا الكشّاف المحطّم فى كل مكان ..

وهتف (عصام) فى ذهول :

ــ ماذا حدث ؟

أجابه (عصمت) فى لهجة متعجّلة :

ــ لقد وقع .

هتف (عصام) فى دهشة :

ــ وقع ؟!.. من تقصد ؟

ولكن (عصمت) لم يجب سؤاله ..

لم يفعل لأنه ــ وبكل بساطة ــ لم يعد هناك ..

لقد انطلق بكل قواه وحماسه ، خلف الجاسوس ..

وفى ذهول ، رآه (عصام) وسط الظلمة السائدة ، يتسلّق الديكورات ، والأسلاك الضخمة فى خفّة مذهلة ، ثم يقفز منها إلى حيث وُضِعَتْ كل الكشّافات ..

ثم اختفى ..

وسمع (عصام) صوت المخرج يهتف :

ــ اللعنة !.. هذا لم يحدث أبدًا من قبل ، منذ بدأ التليفزيون المصرى إرساله .. أوقفوا البث .

هبّ (عصام) واقفًا ، وتلفّت حوله ، صائحًا :

ــ أضيئوا المكان .. بكل الأضواء .

انبعثت الأضواء كلها ، وتحوّل المكان إلى شعلة مُتّقِدَة من الأنوار ، وهتف (عصام) :

ــ أين (ماهر) و (ناصر) (طارق) ؟

أجابه صوت رجل يلهث :

ــ هأنذا .. أنا (ناصر) .

ونهض آخر ، وراح ينفض شظايا الزجاج عن ثيابه ، معمغمًا فى هلع :

ــ وأنا (ماهر) .

هتف (عصام) فى توتّر :

ــ وأين (طارق) ؟

ارتفع صوت من خلف أحد الديكورات ، يقول :

ــ أنا هنا .

ثم برز (طارق) شاحب الوجه ، مرتجفًا ، يحمل رعب الدنيا كله ، فعقد (عصام) حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ عجبًا !! من إذن ؟!

ظهر (عصمت) فجأة ، وهو يلهث فى حنق وانفعال ، فالتفت إليه (عصام) يسأله فى لهفة :

ــ هل ظفرت به ؟

أجابه (عصمت) فى حنق :

ــ كلَّا .

ثم أضاف فى استكانة :

ــ إننى مجرَّد عامل بوفيه بسيط .

أدرك (عصام) بسرعة ما يقصده (عصمت) ، فغمغم :

ــ بالطبع .

اندفع المخرج داخل (الاستوديو) ــ فى تلك اللحظة ، وأخذ يهتف فى حَنَق :

ــ ماذا سنفعل ؟.. كيف نتفادى تلك الكارثة ، سيتصوَّر الناس أنه انقلاب عسكرى ، أو عمليَّة تخريبيَّة ، أو ....

قاطعه (ناصر) فى توتُّر :

ــ يمكننا أن نقول إن خللًا قد أصاب كابلات التوصيل الكهربى .

هتف المخرج فى حنق :

ــ لن يصدِّقنا أحد ، فإرسال القناتين الأخريين ما زال مستمرًّا .

غمغم (ماهر) فى حَيْرَة :

ــ ما رأيك لو تجاهلنا ذلك ؟

صاح المخرج فى يأس :

ــ سيكون ذلك أسوأ ، وسيمنح الشائعات فرصة للانتشار .

قال (عصام) فى هدوء :

ــ قل لى يا رجل .. هل جربت مرَّة تلك الوسيلة العجيبة ، التى كانت تتبع قديمًا ، قبيل اختراع التليفزيون ؟

تطلَّع إليه المخرج فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ما هى ؟

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول فى سُخرية :

ــ أن تقول للناس الحقيقة .

حدَّق المخرج فى وجهه بدهشة ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ــ هل تسخر منِّى ؟!

ابتسم (عصام) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ أتريد إجابة صريحة ، أم تصريحًا مدروسًا ؟

ثم تركه ، وغادر المكان فى هدوء ..

وهتف (عصمت) فى بساطة :

ــ دَعنى أعاونك يا سيِّدى .. أخشى أن تكون بعض شظايا الزجاج قد أصابتك .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـــ صدقت .

عاونه (عصمت) ظاهريًا ، حتى ذهب به إلى منطقة خالية ، ثم توقفا ، وسأله (عصام) فى لهفة :

ـــ هل رأيته ؟

هزَّ (عصمت) رأسه فى حنق ، وهو يقول :

كلَّا .. لقد دفع الكشَّاف ، وفرَّ بسرعة ، حتى أننى وجدت المكان كله خاليًا ، عندما صعدت .

غمغم (عصام) :

ـــ لقد كنت رائعًا حينذاك .

تطلَّع إليه (عصمت) فى دهشة ، وكأنما لم يكن يتوقَّع عبارة الثناء هذه ، وغمغم فى خفوت :

ـــ إنه عملى .

أجابه (عصام) فى إعجاب :

ـــ وأنت موهوب .

تمتم (عصمت) فى خفوت شديد :

ـــ شكرًا .

ثم استطرد فى حنق مفاجئ :

ـــ ولكننى أخطأت .

سأله (عصام) فى دهشة :

ـــ كيف ؟

أجابه فى ضيق :

ـــ لم يكن ينبغى أن أتحرَّك على هذا النحو ، قبل كشف الجاسوس ، فكما قلت أنت من قبل ، ليس من المنطقى أن يجيد عامل بوفيه عادى هذه المهارات .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ هذا صحيح .

عقد (عصمت) حاجبيه ، وغمغم فى ضيق :

ـــ قل لى : أيهم بدا لك منفعلًا ، بعد أن سطعت الأضواء ؟

أجابه (عصام) على الفور :

ـــ (طارق) .

سأله فى دهشة :

ـــ ولماذا هو بالذات ؟

أجابه (عصام) فى حماس :

ـــ عند إضاءة الأنوار ، كان (ناصر) إلى جوارى ، وكذلك (ماهر) ، أما (طارق) فلم يظهر إلا بعد حين ..

هزَّ (عصمت) رأسه فى تشكُّك ، مغمغمًا :

ــ ليس هذا دليلًا ، فلو أن الجاسوس قد تحرَّك فى سرعة ، لأمكنه أن يبلغ أرض الاستوديو ، فور سقوط الكشَّاف .

عقد (عصام) حاجبيه ، وقال :

ــ إنك تضيع فرصتى لكشف السر ، فهكذا عدنا إلى البداية ، مع وجود ثلاثة من المشتبه فيهم .

ابتسم (عصمت) ، وهو يقول :

ــ هذا أفضل كثيرًا ، فقبل يوم واحد ، كان كل عامل فى التليفزيون مشتبه فيه ، و .....

وفجأة بتر عبارته ، عندما ارتطمت إلى جوار رأسه رصاصة ..

رصاصة صامتة ..

* * *

٨ ــ أوراق مكشوفة ..

« خطأ يا (عادل) .. خطأ .. » .

قالها مدير مباحث أمن الدولة فى ضيق واضح ، وهو يتطلَّع إلى (عادل محمود) ، الذى ابتسم فى هدوء ، قائلًا :

ــ لماذا يا سيِّدى ؟.. لست أدرى ما الذى يجعل هذا خطأ ؟

قال المدير فى حدَّة :

ــ إنك تستعين بمدنى يا (عادل) ، وهذا يقلِّل من احتمالات كشف أمر الجاسوس ، أو على الأقل يوقعه بتهمة القتل فحسب .

قال (عادل) فى هدوء :

ــ وما الفارق ؟.. إن العقوبة فى الحالتين هى الإعدام .

رفع المدير حاجبيه فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ ماذا تقول يا (عادل) ؟.. أين ما تعلمته ، طيلة هذه السنين ؟.. إن إلقاء القبض على أحد جواسيس دولة أجنبية ،

بتهمة التجسُّس بالذات ، هو كل النصر لنا ، فهو إبراز لقوتنا ، ورفع لروح شعبنا المعنوية ، ودَعْم لثقته فى حكومته وأمنه ، مع دفع العكس تمامًا فى نفس العدو ، وإلا لكان من الأسهل قتل أى جاسوس ، بدلًا من مراقبته وتتبعه .

قال (عادل) فى هدوء :

ــ أعلم هذا يا سيِّدى ، ولقد حصلت على تقدير ممتاز ، فى الدورة التى تلقيناها فى شبابنا ، عن هذه الأمور ، وتعقيداتها النفسية ، ولكن الأمر يختلف هذه المرَّة ، فمهمَّة ذلك الجاسوس ، الذى نبحث عنه ، لا تقتصر على دراسة وسائل إعلامنا ، وقدراتنا فى هذا المضمار فحسب ، وإنما تمتد إلى وضع بعض القنابل الخاصة داخل مبنى التليفزيون ، بحيث يمكن نسف المبنى كله وقت اللزوم ؛ لذا فمن المحتم أن نلقى القبض على الجاسوس ، بأيَّة تهمة كانت .

رفع المدير سبَّابته فى وجهه ، وهو يقول محذِّرًا :

ــ القواعد يا (عادل) .. إنك تهملها دومًا .

ابتسم (عادل) ، قائلًا :

ــ ربَّما يا سيِّدى ، فأنا لا أميل عادة إلى الروتينيات .

هتف المدير :

ــ هذا لا يعنى أن تحطِّم كل القواعد دفعة واحدة ، بدفعك مدنى داخل العملية .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ هذا المدنى شاركنا من قبل فى عدَّة عمليات يا سيِّدى ، وهذا يعنى أنه نصف متمرِّس(*) .

قال المدير فى صرامة :

ــ ولكن أسلوبه لا يتفق مع (عصمت) .

شرد (عادل) ببصره ، وهو يقول :

ــ لابد أن يتفقا .. إنهما يعملان معًا ، وفى مثل هذا العمل ، إما أن يتفق الجميع ، أو يلقوا حتفهم ..

* * *

لم تكد تلك الرصاصة ترتطم بالجدار ، إلى جوار رأس (عصمت) تمامًا ، حتى دفع هذا الأخير (عصام) أمامه ، وانتزع مسدسه ، وهو يهتف :

ــ ابتعد .

(*) راجع قصص (قضية الغوَّاصة المحترقة)، و(قضية أخطر العملاء)، و(قضيَّة لعبة الثعالب)، و(قضية قلب الجحيم) .. المغامرات رقم (٣٧)، (٣٨)، (٣٩)، (٤٠) .

سقط الاثنان أرضًا ، وهتف (عصام) فى توتُّر :

ــ ما هذا ؟!

أجابه (عصمت) فى حزم ، وعيناه تدوران فى المكان ، بحثًا عن مصدر الرصاصة :

ــ إنه الجاسوس ولاشك ، فهو يستخدم مسدسًا مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وخزانة ذات تسع طلقات .

سأله (عصام) فى دهشة :

ــ وكيف علمت بأمر الخزانة ؟

أجابه (عصمت) فى صرامة :

ــ من صوت ارتطام الرصاصة بالجدار ؟

هتف (عصام) فى ذهول :

ــ ماذا ؟!.. لا تقل لى إنك تملك الخبرة الكافية ، لتحديد نوع المسدس ، بمجرَّد سماع صوت ارتطام رصاصته بالجدار !!

قال (عصمت) فى حدَّة :

ــ وما الذى يدهشك فى ذلك ؟.. إن المسدسات ذات الخزانات القصيرة ، تكون رصاصاتها عادةً صغيرة ، من عيار صغير ، بحيث لا تُحدِثُ إلا أدنى صوت ، مع ارتطامها بالجدران ، خاصة عندما يُطلقها مسدس مزوَّد بكاتم

أجابه (عصمت) فى حزم ، وعيناه تدوران فى المكان بحثًا عن مصدر الرصاصة : ــ إنه الجاسوس ولا شك ..

للصوت ، أما المسدسات ذات الخزانة الكبيرة ، فتكون على العكس ..

بتر عبارته بغتة ، عندما ارتطمت بالأرض إلى جواره رصاصة أخرى ، ثم انحرفت بزاوية حادة ، حتى أنه سمع أزيزها إلى جوار أذنه ، فغمغم فى توتُّر :

ــ يبدو أن هذا الوغد لا يُحسن التصويب ، أو ....

صمت بغتة ، والتقى حاجباه ، وهو يستطرد فى انفعال :

ــ أو أنه يطلق النار من زاوية صعبة .

وأدار عينيه فى المكان فى سرعة ، قبل أن يشير إلى زاوية بين انحراف سلَّمين متقابلين ، مردفًا :

ــ مثل هذه .

نقَّل (عصام) بصره إلى حيث أشار (عصمت) ، وغمغم فى توتُّر :

ــ هل تظن ...؟

قبل أن يتم عبارته ، برزت فوهة مسدس من تلك الزاوية ، فعقد (عصمت) حاجبيه ، مجيبًا فى حدَّة :

ــ بل واثق .

ويبدو أن صوته كان مرتفعًا أكثر من اللازم ، فقد تراجعت

فُوَّهة المسدَّس فى سرعة ، وتناهى إلى مسامعهما وقع أقدام تعدُو مبتعدة ، فهتف (عصمت) فى حنق :

ــ اللعنة !

وقفز من مكانه فى سرعة ، وانطلق نحو زاوية التقاء السلَّمين ، ووقف عندها محنقًا ، وهو يهتف :

ــ لا يوجد أحد .. وهذا المكان يقود إلى استراحة العاملين بالاستوديوهات ، ولن يمكنك إثبات أى شىء على ذلك الجاسوس اللعين .

لحق به (عصام) ، وهو يهتف فى انبهار :

ــ إنك تتحرَّك بسرعة مدهشة ، حتى أننى ....

قاطعه (عصمت) فى حدَّة :

ــ كفى .. إننى لا أميل إلى عبارات الثناء ، ومن الضرورى أن تنظر إلى الأمور بنظرة أكثر شمولًا ، فهل تعلم ما الذى يعنيه إطلاق النار علينا ؟!

قال (عصام) فى حدَّة :

ــ بالطبع .. إنه يعنى أن الجاسوس قد بدأ يكشف أوراقه .

هتف (عصمت) فى حنق :

ـ كلّا .. إنه يعنى أن أوراقنا نحن هى التى كُشِفَتْ ، فبعد عام كامل من السرية ، جئت أنت لتكشف أمرى ، وتحوّل اللعبة إلى معركة صريحة .

تمتم (عصام) :

ـ ياإلٰهى !!.. إننى لم أنتبه إلى ذلك .

ثم عقد حاجبيه فى صرامة ، مستطردًا :

ـ ولكن هذا لا يعنى الهزيمة .. إنه يعنى فحسب أنه من الضرورى أن نعمل بصورة أسرع .

هتف (عصمت) فى حنق :

ـ كيف ؟.. إننا نواجه خصمًا يعرف هويتنا ، ونحن نجهل هويته تمامًا .. قل لى ، هل تستطيع تسليط الضوء عليه ؟

غمغم (عصام) فى ضيق :

ـ ليس بهذه السرعة .. إنه ..

قاطعه (عصمت) فى غضب :

ـ إنه ماذا ؟.. لقد أفسدت كل شىء .. كانت الأمور تسير على ما يرام ، حتى اقتحمتها أنت ، و .....

برقت عينا (عصام) بغتة ، وهتف :

ـ يا إلٰهى !!.. هذا صحيح .

سأله (عصمت) فى دهشة :

ـ ما هذا الصحيح ؟!

أجابه (عصام) فى انفعال :

ـ أنت توصّلت إلى الحل .. أنت أنهيت المشكلة .

ثم تركه واندفع يصعد فى درجات السُّلَّم ، و (عصمت) يهتف به :

ـ ماذا تعنى ؟.. لست أفهم شيئًا .

صاح به (عصام) :

ـ الحق بى ، وستفهم .

تردَّد (عصمت) لحظات ، ثم غمغم فى توتُّر :

ـ حسنًا .. ماذا سنخسر ؟.. لقد انكشفت الأوراق على أيَّة حال .

وتبعه بلا حماس ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ..

* * *

كان العاملون فى (استوديو ـ ٤) يحاولون إعادة الأمور إلى نصابها ، لإعادة بث البرامج من المكان ، عندما اقتحمه (عصام) فجأة ، فارتطم بالمخرج ، الذى هتف فى حنق :

ـ احترس يا فتى .. إننا لم ننته من تلافى آثار الحادث السابق بعد .

أدار (عصام) بصره فى الوجوه ، وهتف فى انفعال :

ـ لا عليك أيها المخرج .. سأمنحك أفضل برنامج فى حياتك ، ومن حُسن الحظ أن الجميع هنا .

تمتم (ماهر) فى حيرة :

ـ نعم .. جميعنا هنا ، ولكن فِيمَ تحتاج إلينا .

وقال (ناصر) فى عصبيَّة :

ـ ماذا تريد منَّا أيها الصحفى ؟

أما (طارق) فقد زفر فى ضيق ، مغمغمًا :

ـ إنها فضيحة ، سيتم تحويلنا جميعًا إلى التحقيق .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ـ سيكون هذا أبسط ما سيحدث يا رجل .

هتف (طارق) فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟

التفت (عصام) إلى المصور ، وقال فى مرح :

ـ هيا يا رجل .. ابدأ التصوير .. إنه برنامج العصر .

هتف المخرج فى غضب :

ـ هل جننت؟!.. كيف تلقى الأوامر فى برنامجى ؟

أطلق (عصام) ضحكة منفعلة ، وقال :

ـ لا تعترض أيها المخرج .. ستتنافس عليك محطات التليفزيون ، فى العالم أجمع ، بعد تصوير هذا البرنامج .

تطلَّع إليه الجميع فى ذهول ، وسألته المذيعة فى عصبيَّة :

ـ أستاذ (عصام) .. ماذا تريد ؟

قال (عصام) فى حماس :

ـ أردت أن أمنحكم فرصة العمر ، بتصويركم لحظة إلقاء القبض على قاتل وجاسوس .

هتف أحد المشتبه فيهم الثلاثة :

ـ قاتل وجاسوس ؟!.. يا للإثارة ! ، ومن هو هذا ؟

التفت إليه (عصام) وهتف فى انفعال :

ـ إنك تعرفه جيِّدًا يا رجل ، فهو .. أنت .

* * *

٩ ــ المفاجأة ..

أغمض (عصمت) عينيه ، وهو يقف خارج الأستوديو ، وقد خيّل إليه أن إعصارًا سيجتاح المكان ، بعد أن يلقى (عصام) عبارته ، إلا أنه فوجئ بصمت تام رهيب ، حتى لقد بدا وكأن العبارة قد قتلت الجميع ، وأبادتهم تمامًا ..

ثم ارتفع صوت واحد ..

صوت عرف (عصمت) صاحبه على الفور ..

صوت يهتف فى غضب ودهشة :

ــ أنا ؟!

وأجاب (عصام) صاحب الصوت فى هدوء ، يحمل رنّة ظافرة :

ــ نعم .. أنت .. لقد كشفت نفسك بعبارة واحدة ، قلتها فى محاولة لتبرئة نفسك ، ولكنها كشفتك وأدانتك .

ردّد صاحب الصوت فى ذهول :

عبارة واحدة ؟!

أجابه (عصام) فى حزم :

ــ نعم .. عبارة واحدة يا ... يا (ماهر) .

عقد (عصمت) حاجبيه فى شدّة ، خارج الأستوديو ، وتسمَّر فى مكانه ، وهو يتمتم :

ــ يا لهذا الصحفى !.. أقسم أن أقرأ تحقيقاته ، ما بقى لى من عمر ، لو أنه أصاب الهدف حقًا .

أما داخل الأستوديو ، فقد راح الجميع ينقلون أبصارهم فى ذهول ، بين (عصام) و (ماهر) ، على حين استطرد الأوّل :

ــ أتذكر كيف دافعت عن نفسك فى البداية ؟.. لقد قلت إنك لم تدخل إلى الأستوديو ، إلا عندما أصيب (فايد) ــ رحمه الله ــ بالذعر ، ومن الأفضل أن تقول إنك قد دخلت فى نفس اللحظة ؛ لأنه لم يكد يراك ، حتى تذكَّرك ، وأصابه الرعب .

قال (ماهر) فى حدّة :

ــ خطأ .

ابتسم (عصام) فى هدوء وثقة ، وهو يقول :

ــ الخطأ هو أنك أنت لم تكن تذكر وجه (فايد) ، فمن

الطبيعى أن ينسى الجلّاد ضحيته ، على حين لا تنسى الضحيّة جلّادها أبدًا .

هتف المخرج فى ذهول :

ــ أى جلّاد ؟ وأيّة ضحيّة ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ ستفهمون فيما بعد أيها السادة ، أما الآن فدعونا نسترجع ما حدث أمس .. لقد كان (فايد) هنا ، داخل الاستوديو ، ينتظر بدء البث ، ومن الطبيعى أنه قد أخذ يدير عينيه فى المكان مبهورًا ، مثلما يحدث مع أى زائر لاستوديوهات التليفزيون ، وهذا يعنى أنه قد رأى وجوه الجميع تقريبًا ، حتى بدأ البث .. وفى أثناء البث ، دخل رجلان إلى الاستوديو ، كنت أنت أحدهما يا (ماهر) ، وعندئذ أصيب (فايد) بالذعر ؛ لأنه تعرّفك ، ورأى فيك نفس ضابط (الموساد) السادى ، الذى تلذّذ بتعذيبه ، عندما تم أسره ، خلال حرب أكتوبر .. ولحظتها فقط تذكّرته أنت ، وأدركت أنه قد تعرّفك ، مما يهدّد مهمتك التجسسيّة بالخطر ، فما كان منك إلا أن تبعته إلى منزله ، وهناك هاجمته ، وقتلته .. وعندما سمعتنى أتحدّث مع المذيعة عن الأمر ، انطلقت إلى حيث

الدكتور (على) ، وحاولت قتله ، للتخلّص من الأدلّة ، ولكنه بقى حيًّا ، ليضيق دائرة الخطر حول عنقك ، وهكذا حاولت التخلّص منّى ، فلما فشلت ، ألقيت نفسك أرضًا ، ونهضت تنفض شظايا الزجاج ، التى علقت بثيابك ، لتبدو كما لو أنك قد سقطت مع سقوط الكشّاف ، ثم حاولت التخلّص منى ومن (عصمت) فيما بعد .. قل لى يا رجل .. هل أخطأت الاستنتاج ؟

هتف المخرج :

ــ بالطبع .. إنك تتحدّث عن أمور سخيفة .. (موساد) و (جواسيس) !!.. أى هراء هذا ؟.. إنه يبدو أشبه بفيلم أمريكى تقليدى ، وليس بواقعة حية .

هزّ (عصام) كتفيه ، وقال :

ــ فلنسأل (ماهر) رأيه .. هل أخطأت أنا الاستنتاج ؟

تركّزت الأبصار كلها على وجه (ماهر) ، الذى بقى جامدًا لحظات ، قبل أن تنفرج شفتاه ، عن الكلمة التى هوت لها قلوب الجميع :

ــ كلّا .

وبعدها أطلقت المذيعة الحسناء صرخة رعب هائلة ، عندما

قفز (ماهر) نحوها ، وأحاط عنقها بذراعه ، ثم استلّ من سترته ذلك المسدس ، المزوّد بكاتم للصوت ، مستطردًا فى غضب هائل :

ــ لقد كنت على حق .. على حق تمامًا .

ثم ركل الديكور بقدمه ، وجذب المذيعة الملتاعة نحو نافذة الاستوديو الزجاجية ، هاتفًا ، وهو يلصق فوهة المسدس بمؤخرة رأسها :

ــ وهى ستدفع الثمن .

وبدأت سبّابته تعتصر الزناد ..

* * *

انطلق صوت (عصام) يشقّ الصمت والذعر ، وهو يقول فى حدّة :

ــ حذار يا (ماهر) ، أو أيًا كان اسمك .. لو أنك قتلتها ، فستدفع ثمنًا باهظًا .

أطلق (ماهر) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ أى ثمن أيها الصحفى ؟.. إن العقوبة التى تنتظرنى هى الإعدام ، فأى ثمن يفوق ذلك ، لو قتلتها ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

ــ ستفقد رهينتك ، وفرصتك فى الفرار .

ران الصمت لحظات ، بعد عبارة (عصام) ، الذى راح يتبادل مع (ماهر) نظرات قاسية متحدية ، حتى هتفت المذيعة فى رعب :

ــ افعل شيئًا أيها المخرج .

انتفض المخرج لصوتها ، وهتف :

ــ بالطبع .

ثم التفت إلى المصوِّر ، هاتفًا :

ــ التقط المشهد يا رجل .

صاحت المذيعة فى غضب :

ــ أيها الوغد .

ثم استطردت فى حنق :

ــ لقد ارتبكت زينتى .

أطلق (ماهر) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ يا للتفاهة !!.. هناك ما هو أخطر لتقلقى بشأنه .

وجذب إبرة مسدسه فى عنف ، واتسعت عينا المذيعة فى رعب وخيّل لـ(عصام) أن كل مايفزعها هو أن تخترق الرصاصة جمجمتها ، فتفسد تصفيفة شعرها ، مما رسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

ـ هيا يا (ماهر) .. يمكنك أن تملى شروطك .

تردَّد (ماهر) لحظة ، ثم غمغم فى حزم :

ـ سأفعل بالطبع .

هتف (ناصر) فى ارتياع :

ـ ولكن كيف ؟.. كيف يكون (ماهر) جاسوسًا ؟.. إنه يتحدَّث العربية فى طلاقة ، وبلهجة مصرية خالصة !!

ابتسم الجاسوس فى زهو ، وهو يقول :

ـ هذا لأننى من مواليد (مصر) ، ولقد هاجرت إلى (إسرائيل) فى أوائل الستينات فحسب .

أسرع المخرج يسأله فى لهفة :

ـ واسمك الحقيقى ؟.. ماذا عن اسمك الحقيقى ؟

أجابه (ماهر) فى صرامة :

ـ اصمت أيها الحقير .

هتف المخرج فى دهشة :

ـ حقير ؟!

ثم تحوَّلت دهشته إلى غضب ، وهو يهتف :

ـ من الحقير يا رجل ؟ إننى مخرج ممتاز ، و .....

قبل أن يتم عبارته ، كان الجاسوس قد أدار فُوَّهة مسدسه نحوه ، وأطلق النار ..

وانتزعت الرصاصة المخرج من مكانه ، وألقته إلى الخلف ، ليسقط جثة هامدة ..

وصرخت المذيعة فى رعب ..

وتراجع العاملون فى الاستوديو فى هلع ..

وصرخ (ناصر) :

ـ لقد قتله .. لقد قتله .

أما (عصام) ، فقد هتف فى غضب :

ـ أيها الحقير .

وهمَّ بالاندفاع نحوه ، لولا أن أدار الجاسوس فُوَّهة مسدسه إليه ، وهو يهتف فى غضب صارم :

ـ أيروق لك أن تلحق به ؟

قال (عصام) فى غضب :

ـ لقد قتلت أعزلَ .

أطلق (ماهر) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أعزل ؟!.. أأنت من أولئك الحمقى ، الذين يقيمون وزنًا لمثل هذه الأمور ؟

صاح (عصام) فى حنق :

ـ إنه آدمىّ .

برقت عينا (ماهر) ببريق وحشىّ مخيف ، وهو يقول :

ــ وماذا فى ذلك ؟.. إن قتل الآدميين أكثر سهولة من قتل الحيوانات .

صاح (عصام) ساخطًا :

ــ أيها الوغد الحقير .

أطلق (ماهر) ضحكة جنونية ، وهو يقول :

ــ يبدو أنك تسعى للموت بالفعل .. إنك من ذلك النوع ، الذى يتلذَّذ بالتضحية .

قال (عصام) فى سُخط :

ــ وأنت من ذلك النوع القذر ، الذى يتلذَّذ بتعذيب الآخرين .

برقت عينا (ماهر) ، وهو يقول :

ــ صدقت .

ثم عاد يلصق فوهة مسدسه برأس المذيعة ، مستطردًا :

ــ إننى أحب قتل المذيعات الجميلات .

انفجرت المذيعة باكية ، وهى تهتف :

ــ كلَّا !.. أرجوك .. لا تقتلنى .. أرجوك .

تضاعف بريق عينيه الجنونىّ ، وهويقول :

ــ نعم .. هذا يرُوق لى .. هيَّا .. أريد سماع مزيد من التوسلات .. هيَّا .

هتفت المسكينة فى ذعر :

ــ أرجوك .

زاد من ضغط ذراعه على عنقها ، هاتفًا :

ــ توسَّلى إلىَّ أكثر .. تضرَّعى إلىَّ أن أبقى على حياتك .

هتف (عصام) فى غضب :

ــ أيها الحقير .. أيها الـ .....

ثم بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى مشهد مذهل ، يحدث خارج النافذة .. لقد كان (عصمت) ، وقد تدلَّى من سطح المبنى بحبل سميك ، ودفع جسده إلى الخلف ، ثم تركه يهوى نحو النافذة ..

* * *

هتف (عصام) فى غضب :

ـ أيها الحقير ..

١٠ ـ الختـام ..

كان أروع مشهد رآه (عصام) فى حياته ..

أروع صورة انحفرت فى ذاكرته ..

لقد اخترق (عصمت) النافذة الزجاجية كصاروخ بشرى ، وقبضت يده الحرة على مؤخرة عنق (ماهر) ، ثم هوى بجسده كله فوقه ، ويده الأخرى تحيط بمعصمه ، وثبعد فوهة مسدسه عن رأس المذيعة الحسناء ..

كل هذا حدث فى لحظة واحدة ، وتناسق مذهل ..

وسقطت المذيعة بعيدًا ، وسقط (ماهر) و (عصمت) فى الجانب الآخر .. ثم نهضا فى آن واحد ..

نهضا وهما يتصارعان ..

وبدأت المعركة بضربة من قبضة (عصمت) ، على قبضة (ماهر) ، أطارت مسدسه بعيدًا .

ودفع (ماهر) (عصمت) بعيدًا ، ثم قفز بركل وجهه بقدمه ، فى واحدة من ضربات رياضة (الكاراتيه) ، ولكن

(عصمت) تفادى الضربة فى مهارة رائعة ، ثم انحنى ، ولكم (ماهر) فى معدته لكمة كالقنبلة ، جحظت لها عينا هذا الأخير ، وانثنى لها جسده كله ، وانطلقت لها شهقة قوية من حلقه ..

ثم تراجع (عصمت) بضع خطوات إلى الـــوراء فى هدوء ..

وقفز ..

وكانت القفزة هى ثانى أروع عمل رآه (عصام) ..

لقد كان وجه (عصمت) يواجه (ماهر) ، عندما بدأ قفزته ، ولكن جسده كله دار دورة كاملة فى الهواء ..

وعندما بلغت الدورة منتصفها ، فى اللحظة التى كان فيها ظهر (عصمت) فى مواجهة (ماهر) ، بدأت قدمه ترتفع ، حتى أصبحت تصنع مع جسده زاوية قائمة ..

ثم ضربت وجه (ماهر) فى قوة ، مع اكتمال الدورة ..

ومن الواضح أن الضربة كانت قوية وقاسية للغاية ..

لقد انتزعت (ماهر) من مكانه ، وألقته إلى الخلف فى عنف هائل ، ليرتطم بالحائط ، ثم يسقط على وجهه ..

وفى هدوء ، تجاهل (عصمت) خصمه ، واتجه نحو المذيعة ، وعاونها على النهوض ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ هل أصابك مكروه ؟

حدّقت فى وجهه بانبهار كامل ، كما فعل الجميع ، ثم غمغمت :

ـــ كلّا .

وهنا انفجر الجميع فى هتاف واحد ، واندفع (عصام) نحو (عصمت) ، هاتفًا فى انبهار :

ـــ لقد كنت عظيمًا .. إنك ..

قاطعه (عصمت) فى حدّة :

ـــ قلت لك إننى أكره عبارات الثناء .

وهنا ارتفع صوت (ماهر) ، وهو يقول فى حنق :

ـــ إنك ستحتاج إلى الكثير منها فيما بعد .

التفت إليه (عصمت) فى حركة حادة ، مصوّبًا إليه مسدسه ، ثم لم يلبث أن تنبه إلى أنه أعزل ، فخفض فوهة مسدسه ، واتجه نحوه ، وانتزعه من سقطته ، ليجبره على الوقوف على قدميه ، قائلًا :

ـــ أما زلت تستطيع التحدّث أيها الوغد ؟

هتف (ماهر) فى حنق :

ــ بالطبع ، فأنا سأنتصر فى النهاية .

ابتسم (عصمت) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ يا لك من متبجِّح !

صاح (ماهر) فى حنق :

ــ قلت لك إننى سأنتصر فى النهاية .

ثم أردف فى حدَّة :

ــ لقد كنت أتوقَّع حدوث هذا ، فوضعت بالمبنى قنبلة زمنية ، لا يعرف مكانها سواى ، ستنفجر لو لم أوقفها قبل نصف ساعة من الآن .

عقد (عصمت) حاجبيه ، وهو يقول فى حدَّة :

ــ أنت كاذب .

هتف (ماهر) فى سخرية جنونية :

ــ انتظر إذن .. انتظر وسيجبرك الانفجار على تصديقى .

رفع (عصمت) فوهة مسدسه ، وألصقها بأسفل دقن (ماهر) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ حسنًا أيها الوغد .. ستخبرنى أين وضعتها .

أطلق (ماهر) ضحكة مريرة ، وهتف :

ــ هل تمزح ؟.. موضع القنبلة هو جواز فرارى الوحيد .. اتركنى أرحل فأخبرك به ، وإلا فليدفع الجميع الثمن .

قال (عصمت) فى برود صارم :

ــ هذه الصفقة لا تروق لى ، ما رأيك فى صفقة أفضل .. ستخبرنى بموضع القنبلة أو أقتلك .

ازدرد (ماهر) لعابه ، وتمتم فى توتر :

ــ لن تجرؤ .. لن تقتل جاسوسًا وضابطًا بـ (الموساد) .

جذب (عصمت) إبرة مسدسه ، وهو يقول فى برود مخيف :

ــ هل تراهن ؟

كان صوته ــ على الرغم من برودته ــ صارمًا ، رهيبًا ، حتى أن الصمت قد ساد المكان تمامًا ، وامتقع وجه (ماهر) ، وهو يردِّد فى شحوب :

ــ لن تجرؤ .. أراهن أنك لن تفعل .

قال (عصمت) فى صرامة :

ــ بالطبع .. ليس برصاصة ، فالرصاصات لها ثمن هنا .

ثم جذبه نحو النافذة المكسورة فى عنف ، ودفع نصف جسده خارجها ، وهو يستطرد فى لهجة مخيفة :

ـــ هناك وسائل أفضل .

اتسعت عينا (ماهر) فى رعب ، عندما وجد نصف جسده يتدلّى فى الهواء ، وصرخ فى رعب :

ـــ لا .. لا تقتلنى .. لا توجد قنابل .. أقسم لك .. كانت مناورة فحسب .

جذبه (عصمت) إلى الداخل ، وهو يقول فى ازدراء :

ـــ كنت أعلم ذلك .

ثم هوى على فكه بلكمة هائلة ، ألقته فاقد الوعى ، وأعاد مسدسه إلى حزامه فى هدوء ..

وهنا اندفع (عصام) نحوه ، هاتفًا :

ـــ (عصمت) .. إنك رائع حقًا .. إننا نشكّل معًا فريقًا ممتازًا ، يمكنه أن يحمل اللقب نفسه .. لقب (ع × ٢) .

ابتسم (عصمت) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ معًا ؟..

عقد (عصام) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ أيبدو لك الأمر تافهًا إلى هذا الحد ؟

ارتسمت ابتسامة جذّابة على شفتى (عصمت) ، وهو يقول :

ـــ بل يبدو رائعًا .

ثم مد كفه إلى (عصام) ..

وتصافحا ..

وسجّل التاريخ ، منذ هذه اللحظة ، انضمام عضو جديد إلى الفريق ..

فريق (ع × ٢) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/٣٥٤١

مغامرات ع × ٢

سلسلة القاز بوليسية مثيرة للشباب تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

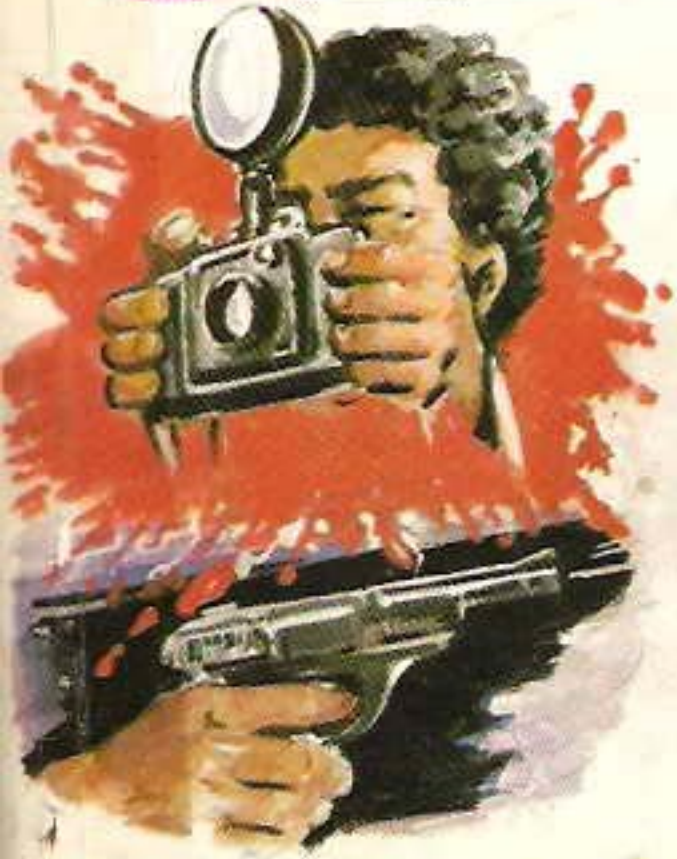

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية انتحار مقاتل

• مقاتل من مقاتلي حرب أكتوبر، ينتحر بعد مقابلة تليفزيونية، تعيد إليه أمجاد الماضي، ولكن الصحفي (عصام كامل)، ورجل المباحث العامة (عادل محمود)، يبحثان عن جريمة، تختفي خلف هذا الانتحار.. فكيف ينتهي بهما الأمر؟

• اقرأ التفاصيل المثيرة، وحاول أن تسبق فريق (ع×٢) الجديد إلى حل اللغز..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم

(قضية القضايا)

الثمن في مصر ١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الامريكي
في سائر الدول العربية والعالم